إتحاف العقول
بشرح
ثلاثة الأصول

للشيخ الدكتور
محمد بن أحمد الخضي

أعده تلميذه

سعود عبده رديش دغريري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً حمداً ، والشكر له تعالى شكراً شكراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ؛ أما بعد :

فإن دراسة العقيدة هي من أهم المهمات وأوجب الواجبات ، فبها يعرف العبد ربَّه سبحانه ، وشرف العلم بشرف المعلوم ، وقد اجتهد أهل العلم في ذلك ، فألَّفوا مختصرات ومطولات ، حتى يتدرَّج الطالب في العلم ، ومن خير ما يبدأ به الطالب في دراسته للعقيدة كتاب "الأصول الثلاثة" للشيخ المجدد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى .

وقد قام فضيلة شيخي الدكتور محمد بن أحمد خضي حفظه الله بشرح هذا الكتاب في أكثر من مَجْمَع ، وقد تحصَّلت على شرح صوتي مسجَّل للدروس التي ألقاها علينا في المستوى الأول من "دورة التأصيل العلمي" المقامة بجامع الدحمان الكبير بأحد المسارحة ، وكذا تحصَّلت على تسجيل صوتي لتعليقات شيخي إلى نهاية الأصل الثاني من هذه الرسالة ، وذلك في المستوى الأول من "دورة التأصيل العلمي" التي أقيمت لنا بجامع الحكير بأبوعريش .

فاستأذنتُ شيخي في إخراج هذه الدروس من حيِّز التسجيل المسموع إلى حيِّز المكتوب المقروء ، وذلك كي يستفيد القارئ منها بإذن الله تعالى ، فاستعنت بالله وحده وعليه التكلان ، فقمت بكتابتها وترتيبها مع عزو الأحاديث إلى مصادرها ، وإضافة بعض التعليقات في الحواشي ، وجعلتُ الشرح الذي كان في جامع الدحمان هو الأصل ، وأدخلتُ عليه تعليقات الشيخ في جامع الحكير حسب ما يقتضيه السياق ؛ نسأل الله الإخلاص في القول والعمل .

والحمد لله رب العالمين على ما وفَّق وأعان على إتمام هذا العمل ؛ اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشـــايخنا ولأهلنا ولذرياتنا ولمن له حق علينا وللمسلمين والمسلمات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ؛ آمين .

كتبه /

أبو عبد الرحمن

سعود عبده رديش دغريري

عفا الله عنه وعن جميع المسلمين

عشية الخميس

٩ – ٣ – ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد :

فقد أذنت للأخ الشيخ الدكتور / سعود بن عبده رديش دغريري بكتابة كل ما تحصَّل عليه من تسجيلات من دروسي العلمية ومحاضراتي وخطبي ، وأسأل الله تعالى لنا وله التوفيق والسداد .

وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كتبه /

د. محمد بن أحمد يحيى خضي

(التوقيع)

١٤٣٥/٢/٨ هـــــ

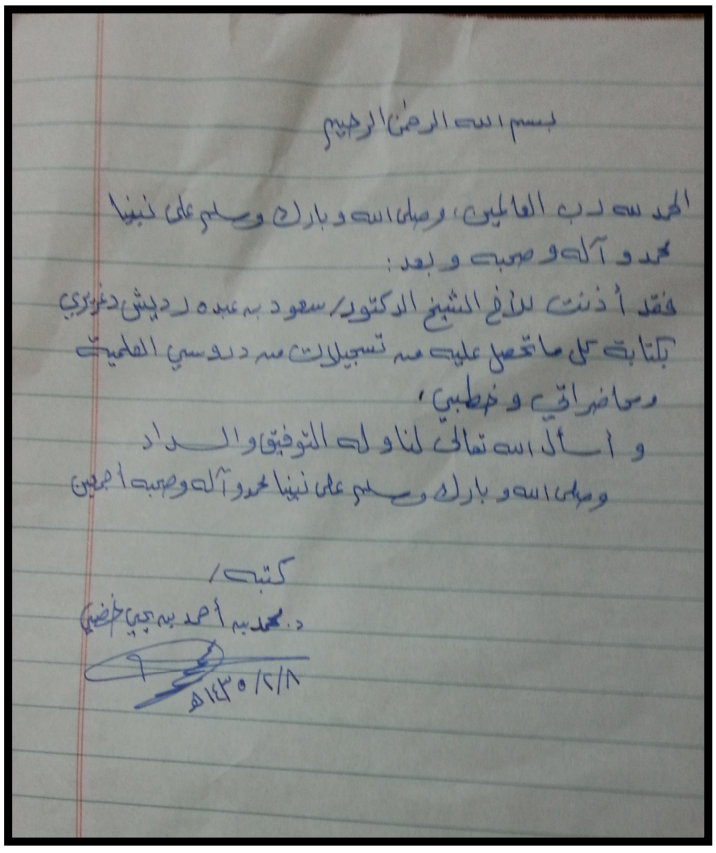

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبدُ الله ورسوله ، صلى الله وبارك وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، وعلى أزواجه وذريته ، وعلى من سار على هديه واستنَّ بسنته إلى يوم الدين ؛ أما بعد :

فهذا شرحٌ للأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ، وكان في عدِّة دروس من دورة التأصيل العلمي المقامة بجامع الدحمان بمحافظة أحد المسارحة ، والتي نظَّمها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة أحد المسارحة .

وطلب العلم هو النجاة بإذن الله عز وجل من الفتن والمحن والمصائب التي تحل بالأمة ، وكل من يجلب مصيبة على المسلمين وفتنة ومحنة عليهم إذا دَرَسْتَ حياته وشخصيته تجد أنه لم يعتن بطلب العلم و لم يدرس العلم و لم ينتهج النهج الصحيح السليم في التلقي في حياته ، فوقع في مزالق الانحراف العَقَدي ومزالق الانحراف الفكري ، فأفسد نفسه وأفسد غيره وكان وبالاً على مجتمعه وأهله .

[١] قوله "اعلم رحمك الله" : يخاطب الشيخ رحمه الله القارئَ ، والخطاب هنا لكل مسلم ومسلمة ، لأن هذه المسائل التي سيذكرها الشيخ رحمه الله هي مما يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه .

وقد بدأ المؤلف رحمه الله بأسلوب جيد ، حيث دعا للقارئ ولطالب العلم بالرحمة من الله تعالى ، وهذا من الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله جل وعلا ، بأنْ تخاطب المدعوَّ بخطاب يجذبه إلى تعلم العلم النافع ، وهذا الأسلوب فيه الرحمة والشفقة واللين ، وهكذا هو الأسلوب في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذي بعث به الله الرسل ، يقول الله جلا وعلا في الأسلوب الدعوي [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] وقال تعالى [لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ] وقال تعالى [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] .

أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل[١]

وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم [نضَّر اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها][١] فدعا صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن يسمع مقالته عليه الصلاة والسلام .

وهذا هو الواجب على الداعية إلى الله أن يسلكه في دعوته ، لأن فيه تحبيباً للمدعوين ، وعليه الابتعاد عن القسوة ، لأن مقصود الداعي من دعوته وهدفه بذلك هو أن يقبل الناس الحق الذي معه وأن يصلح أحوال الناس ؛ ومن أهم الطرق التي يقبل الناس بها الحق الدعاء لهم بالتوفيق والرحمة ، كما بدأ بذلك الشيخ فقال "اعلم رحمك الله " .

[١] قوله "أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل" : أي يجب على المسلمين جميعاً ، ومقصود المؤلف بهذا الوجوب هو الوجوب العيني الذي هو فرض عين ، لأن العلم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : هناك نوع من العلم لا يُعفى منه مسلم ولا يعذر أحد بجهله ؛ وهذا العلم ضابطه هو العلم الذي لا تصح العبادات إلا به ولا تقبل إلا به ، فكل علم لا تقبل العبادة إلا به ولا تصح العبادة إلا به فهو علم واجب على كل مكلف ولا يعذر أحد بجهله ؛ ومن ذلك :

أولاً : في مقدمة ذلك رأسه وعموده تعلم التوحيد والاعتقاد الصحيح الذي لا يصح الإيمان والإسلام إلا به ، فيحذر المسلم أن يقع في ردة أو يقع في كفر أو في شرك فيذهب إيمانه ويذهب إسلامه .

ثانياً : من العلم الواجب خشية الله وإخلاص العمل له ، وهو شرط أساسيٌّ في قبول العمل .

ثالثاً : من العلم الواجب تعلم الأحكام الشرعية التي لا تصح العبادات إلا بها ؛ فيتعلم ما تصح صلاته به ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [صلوا كما رأيتموني أصلي][٢] ، وكذا من رزقه الله سبحانه وتعالى مالاً وجبت فيه الزكاة فيجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة في ذلك المال ، وكذا الصيام وكذا الحج وسائر العبادات .

رابعاً : يجب على المرأة أن تتعلم ما أوجب الله عليها وتشترك فيه مع الرجال من العبادات وما خصه الله تعالى به من العبادات ، كأحكام الحيض والنفاس والحجاب .

القسم الثاني : هناك قدر آخر واجب على المسلمين على وجه الكفاية ، وليس واجباً عينياً ، بل هو فرض كفاية ، وهو التخصص في تعلم أحكام الشريعة وفِقه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فيجب أن يكون في المسلمين ثُلَّة تتخصص وتتفرغ لتعلم العلم الشرعي والفقه فيه ، وهذه الثلة هي

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٥٨٢ ، وقال عنه "حسنٌ صحيح" ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٩٥ ، "باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة" ، عن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه .

.....

التي تقوم بالقضاء الشرعي ، وتقوم بالتدريس للعلوم الشرعية والإفتاء ، وتقوم بالدعوة إلى الله عز وجل ، وتقوم بالرد على أهل الكفر والمعاندين من أصحاب الشبهات والأهواء ، قال الله تعالى عن هذه الثُّلة [وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] ، وهذه الأمة الواردة في الآية المقصود بها مَن تخصص في الشرعية وبحث في المسائل الفقهية .

ولكن لا يُفهم من هذا أنه لا يدعو إلى الله إلا من تبحّر في علوم الشريعة ! لا ، فكل من عَلِمَ مسألةً وَجَبَ أن يعلِّمها للناس ، قال تعالى [قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] وقال [ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] .

* وقد قسَّم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله الناس إلى أربعة أقسام :

١. صنف عالم بالله عالم بأمر الله .
٢. صنف عالم بأمر الله غير عالم بالله .
٣. صنف عالم بالله غير عالم بأمر الله .
٤. صنف غير عالم بالله غير عالم بأمر الله .

القسم الأول : قسم عالم بالله وعالم بأمر الله ؛ وهذا عالم بالله ، أي أن لديه خشية وخوف من الله تعالى وتقوى ، فيقدُرُ الله حقَّ قدره ، وينطبق عليه قوله سبحانه وتعالى [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ][(١)] .

وهو عالم بأمر الله ، أي بأمر الديني الشرعي ، لأن أمر الله تعالى ينقسم إلى قسمين :

أولها : أمرٌ كوني قدري ؛ وهو الأقدار التي يقدرها الله تعالى في هذا الكون ، وهذا لا يجوز لأحد أن يدعي عِلمه ، فلا يعلمه إلا الله .

ثانيها : أمر ديني شرعي ؛ وهذه هي أحكام الشريعة التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] فهذا أمر ديني شرعي .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عند هذه الآية ((أي إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى وكلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر)) انتهى .

.....

فأصحاب هذا القسم هم علماء بالله عندهم خشية وخوف ووَجَلٌ من الله ، وعلماء بما يستحقه الله من الثناء ومن الأسماء والصفات ، وعلماء بأمر الله الديني الشرعي ، وهؤلاء هم أهل العلم الذين اختارهم الله لِحَمْلِ العلم ونشره وهداية الناس إليه بهداية الإرشاد والبيان[1] .

القسم الثاني : قسم عالم بأمر الله غير عالم بالله ؛ وهذا لديه علم بالشريعة لكن تنقُصُه التقوى والخشية من الله والإخلاص لله عز وجل ، وهذا يحصل فيمن اكتفى بشيء يسير من العلم ، فالذي يقف عند شيء يسير من العلم يطلبه ويقف فلا يواصل طلب العلم قد يحصل له هذا ، فيكون عالماً بشيء من أمر الله من الشريعة لكن ليس عنده علم بالله وبخشيته والخوف منه عز وجل .

والإمام الشاطبي رحمه الله له كلام جيد في هذا في كتابه الموافقات فيقول "إن المثابرة على طلب العلم والتفقُّهَ فيه وعدم الاجتزاء – يعني الاكتفاء – باليسير منه يجر إلى العمل به ويلجئ إليه" ، يعني إذا ثابر على طلب العلم والفقه في الدين ولم يكتف بشيء يسير من العلم فإن ذلك يلجئه إلى العمل بالعلم ، ثم استشهد رحمه الله على ذلك بأقوال عدد من أئمة السلف :

١. يقول الحسن البصري رحمه الله "كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة" .
٢. قال معمر رحمه الله "من طلب العلم لغير الله يأبى عليه العلم حتى يصيّره إلى الله" .
٣. قال سفيان الثوري رحمه الله "كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة" .
٤. قال سفيان بن عيينة رحمه الله "طلبنا هذا الحديث لغير الله فأعقبنا الله ما ترون" .
٥. قال الحسن البصري رحمه الله "لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا اللهَ وما عنده ، فما زال بهم حتى أرادوا به اللهَ وما عنده" .

إذن الصنف الثاني (عالم بأمر الله غير عالم بالله) فهذا عنده فقه ولكنه بدون خشية وخوف من الله ، وهذا فيمن اكتفى بشيء يسير من العلم الشرعي أما من ثابر وواظب على طلب العلم فإنه سيصل إلى الخشية والخوف من الله تعالى .

ومن كان لديه علم وهو عالم بشيء من أمر الله وغير عالم بالله فهذا وقعَ فيه شَبَهٌ باليهود الذين حُمِّلوا العلم ولم يعملوا به ، قال سفيان رحمه الله "من فسد من علماء هذه الأمة ففيه شبه باليهود ، ومن فسد من عُبَّادها ففيه شبه بالنصارى" .

---

(١) الهداية لها أربعة أنواع ، وسيأتي بيانها لاحقاً في كلام شيخنا الشارح إن شاء الله تعالى .

.....

وأهل العلم يُلَقِّبون طالبَ العلم الذي لا يعمل بعلمه بأبي ثمود ، لأن فيه شبهاً بقوم ثمود الذين قال الله تعالى عنهم [وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى] فكذلك طالب العلم هُدِيَ لكنه استحبَّ العمى على الهدى .

وقد ضرب الله تعالى لأصحاب هذا الصنف مثلاً فقال تعالى [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] .

وللأسف الشديد أن بعض الطلاب – وللأسف أن يكونوا طلاباً في تخصصات شرعية – يقع فيهم شيء من هذا ، فتجده يتخصص في العلم الشرعي وليس لديه نية لطلبه وللتدقيق فيه وللعمل بما يتعلمه ، فهو حريص على النجاح فقط وحريص على أن ينال الشهادة لكي يأكل بها عيشاً ويَتَكَسَّبَ بها كما يزعم[1] !

فنقول له إن هذا علم شرعي لا يجوز لطالبه أن ينوي فيه هذه النية ، بل يجب عليه أن يُخلص فيه النية لله سبحانه وتعالى ، وإذا أخلص النية لله رَزَقه الله تعالى خيري الدنيا والآخرة ، لكن أن يجعل الهدف الأصلي هو الوصول إلى الدنيا ومتاعها فقط ، فتجده لا يحرص على اقتناء الكتب ، ولا يحرص على البحث والسؤال ، ولا يحرص على حضور مجالس العلم ، وإذا قابلته بعد أن يفارق مقعد الدراسة فلا ترى عليه أثراً ولا صفة من صفات طلاب العلم ، فهذا يُخشى عليه أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] ، أما أهل الايمان [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ].

---

(١) وقد أخرج أبو داود وابن ماجة في السنن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من تعلَّم علماً مما يُبْتَغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة] يعني ريحها ، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله .

يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في ميميته :

والنيةَ اجعل لوجه الله خالصةً ... إن البناء بدون الأصل لم يقمِ

ومن يكن ليقول الناس يطلبه ... أَخْسِرْ بصفقته في موقف الندم

ومن به يبتغي الدنيا فليس له ... يوم القيامة من حظٍّ ولا قسم

كفى به من كان في شورى وهود وفي الـ ... إسراء موعظة للحاذق الفهم

.....

وهذه الآية [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] تشمل كل من اتخذ عبادة وجعلها وسيلة للدنيا ، فكل مَن جعل العبادة وسيلة لبلوغ الدنيا ومتاعها تشمله هذه الآية [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] ، وخذ أمثلة على هذا :

أولاً : الذي يحج عن أخيه المسلم فيأخذ أجرة ويحج عن أخيه ، فهنا فَرِّق في الحج بين شخصين ، شخص هدفه المال ويريد هذا المال ، فهدفه من الحج أن يأخذ ، وشخص آخر يرغب في الحج ويريد الحج لكن ليس عنده استطاعة فأخذ المال لكي يحج هو ويُبرِئ ذمةَ أخيه المسلم ويُسقط عنه الفريضة التي أوجبها الله تعالى عليه ، فهذا أخذها لكي يحج ، والأول حج لكي يأخذ ، فالأول الذي حج لكي يأخذ مذموم ، ويشمله قوله تعالى [رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] ، أما من أخذ ليستعين بذلك المال على الحج فهذا يدخل في قوله تعالى [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] .

ثانياً : طلب العلم الشرعي وتدريسه ؛ فمن طلب العلم الشرعي ودرّسه لكي يأخذ فهذا يشمله قوله تعالى [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] ، أما من رأى أن طلب العلم وتعليمه عمل شريف وغالٍ ويريد أن يتفرغ له ، فتجده معتنٍ بطلابه ومعتنٍ بنشر العلم ، وتجده يبذل أضعاف ما يأخذ ، لأن لديه رغبة ويحب العلم ويحب نشره ، فهذا يدخل في قوله تعالى [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] .

لكن يجب أن نعلم أن من بدأ الطريق في طلب العلم واستمر عليه فلابد أن يُرْزَقَ إخلاصاً وخشية من الله ، ولذا قال السلف "طلبْنا العلم لغير الله فأبى إلا أن يكون لله" .

القسم الثالث : قسم عالم بالله غير عالم بأمر الله ؛ وقد يقول شخص وهل يُتَصَوَّر هذا ؟! بأنْ يكون الشخص لديه خشية وتقوى وليس لديه علم وفقه في الدين ؟

والجواب أن هذا وقع ؛ فزعم أناس أنهم أهل خشية وأهل خوف وإخلاص لكنهم غير علماء بأمر الله سبحانه وتعالى ، فضلوا وأضلوا ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، وهذا قد وقع فيه عدد من أهل الأهواء والبدع ؛ فمنهم :

أولاً : الخوارج ؛ فهم أهل عبادة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال[1] [تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٤١٩ ، "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم" ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه .

.....

السهم من الرمية] ، وعندما ذهبَ ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما لمناقشتهم عندما كفّروا علياً رضي الله عنه رأى الاصفرار على وجوههم من طول السهر في الليل بالصلاة ، ورأى ثيابَهم مقطعة من الزهد ، ولكنهم أهل جهل .

وما أفسد صاحب هوى مثل ما أفسدت الخوارج ، لأن فساد الخوارج فساد وقع في الدماء ووقع في الأموال ووقع في الأعراض ، فاستحلوها بغير حق ، ولذا صحت الأحاديث في ذمهم وتواترت في أكثر من عشرة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذمهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود][(١)] .

ثانياً : وقع في هذا أيضاً أهل التصوف ؛ فالصوفية ادَّعوا الإخلاص والخوف والحب لله ، ولكنهم بدون فقه ، فَضَلُّوا بذلك ، حتى ورد على ألسنة بعضهم قوله مخاطباً ربه سبحانه وتعالى "ما نعبدك خوفاً من نارك وطمعاً في جنتك ، ولكن نعبدك حباً لك !!" ، ومثل لا يجوز ، فالنار مكان لسخط الله تعالى ، فيجب على المسلم أن يخافها وأن يحذرها ، وأن يعمل الأعمال لكي ينجيه الله منها ، والجنة مكان لرحمته سبحانه وتعالى ورضاه ، فيجب على المسلم أن يطلبها وأن يسأل الله تعالى دخولها ، قال تعالى [وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] ، وقال صلى الله عليه وسلم [إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة][(٢)] ، ولكن هؤلاء ادعوا الإخلاص وادعوا الحب لله عز وجل بدون فقه وبدون علم فوقعوا في مزالق ومخاطر عظيمة .

القسم الرابع : غير عالم بالله غير عالم بأمر الله ؛ فهؤلاء قد خرجوا عن العلم بالله وليس عندهم علم بأمر الله ، وهؤلاء هم أصناف أهل الشرك والنفاق والكفر والبدع .

---

(١) قوله صلى الله عليه وسلم [لأقتلنهم قتل عاد] أخرجها البخاري في صحيحه برقم ٣٠٩٥ ، باب قول الله عز وجل [وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ] ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم [لأقتلنهم قتل ثمود] فأخرجها البخاري في الصحيح برقم ٤٠٠٤ ، "باب بعث علي بن أبي طالب خالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع" ؛ كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ؛ يقول الحافظ ابن حجر في الفتح في معنى الحديث ((أي قتلاً لا يُبقي منهم أحداً ، إشارة إلى قوله تعالى [فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ] ، ولم يَرِد أنه يقتلهم بالآلة التي قُتلت بها عاد بعينها ، ويحتمل أن يكون من الإضافة إلى الفاعل ، ويراد به القتل الشديد القوي)) انتهى .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٥٨١ ، "باب درجات المجاهدين في سبيل الله" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الأولى : العلم[١]

---

[١] قوله "الأولى : العلم" : يقول أهل العلم ((العلم هو مفتاح كل خير ، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرَّم ، فلا إيمان ولا عمل ولا كفاح ولا جهاد إلا بالعلم ، فالأقوال والأعمال التي بغير علم لا قيمة لها ولا نفع لها ، بل تكون لها عواقب وخيمة ، وقد تجر إلى فساد كبير ، وإنما يُعبد الله ويؤدَّى حقَّه ويُنشَر دينه وتحارب الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المنحرِفة بالعلم النافع المُتَلَقَّى من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم))[١] .

"العلم هو مفتح كل خير ، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرَّم" ؛ فلا يستطيع المسلم أن يؤدي ما أوجب الله تعالى عليه من الواجبات وأن ينتهي عن المحرمات إلا بطلب العلم النافع ، أما إذا لم يطلب العلم و لم يتفقه في الدين فإنْ عبدَ الله فإنه سيعبد الله على جهل ، وبالتالي تُرَدُّ العبادة عليه ولا تقبل ، لأن العبادة لا تقبل عند الله تعالى إلا بالمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم لا يَصِلُ إليها العبد إلا بالتفقه في الدين وبالعلم النافع .

ولذا عظَّم الله عز وجل قَدْرَ العلم ، وأخبر سبحانه أن أهل العلم هم أهل الخشية لله ، قال سبحانه وتعالى [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] ، وفضَّلهم الله عز وجل بقوله [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] .

ومن منزلة أهل العلم وفَضْلِهم أن الله سبحانه وتعالى أخبرَ أنهم هم المرجعيَّة للأمة ، وأمرَ بالرجوع إليهم بسؤالهم ، وأخبر أنهم هم أهل الذكر ، فقال الله عز وجل [فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] ، فلا شك أن هذه منزلة عظيمة عندما يَصِفُ اللهُ عز وجل أهلَ العلم أنهم هم أهلُ الذكر .

وأخبر الله عز وجل أن أهل العلم هم المرجعية عد نزول الفتن والنوازل والمحن بالمسلمين ، يقول الله سبحانه وتعالى [وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا] .

.....

وهذه الآية [وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا] أهل الإسلام بحاجة إلى أن يطبقوها اليوم ، وطلاب العلم بحاجة ماسة إلى فقه هذه الآية وإلى العمل بها ، فهذه الآية قسمت الناس في وقت نزول الفتن والمحن العامة التي تتعلق بمصالح المسلمين ودفع مفاسد عنهم وتتعلق بأمن الأمة وخوفها ، فقسَّم الله عز وجل مواقف الناس في هذا إلى قسمين :

القسم الأول : قسم هم أهل النفاق ؛ وهم الذين همهم في وقت المحن والفتن نشر الأخبار وإذاعتها بين الناس بدون تروٍّ ولا تثبُّتٍ ولا تأنٍّ ، وبدون تمحيص للصدق من الكذب ، وبدون معرفة ما يترتب على الكلام الذي يقولونه من مفاسد أو مصالح ، بل همه أن يسمع خبراً ثم ينشره بين الناس ، سواء في نشره مصلحة أو مفسدة ، ولا يهمه صِدْقٌ هو أو كذب ، ولا يهمه ما إذا كان من باب الإرجاف أو لا ، بل همه في هذا هو أن يأتي إلى الناس بشيء جديد ، وهذا مسلك خطير ينبغي للمسلم أن يترفَّع عنه .

ولا شك أن المتتبع لنشر الأخبار وإذاعتها بين الناس دون تمحيص وبدون تدقيق وبدون نظر إلى العواقب هو واقعٌ في مسلك أهل النفاق ، لأنهم هم أهل الإرجاف ، قَصَدَ أو لم يقصد ، وقد أخبرنا الله في آيات كثيرة أن أهل النفاق هم أهل الإرجاف ، فقال تعالى [لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً] .

فهذا الصنف همُّه أن يجمع أخباراً ، ولا يدري عن صدقها من كذبها ، ولا يدري هل المصلحة تقتضي نشرها أم لا ، ثم يتحدث بها بين الناس ، وقد يكون هذا النشر إرجافاً في المدينة ، فيسبب مفاسد عظيمة ، بل لو كان ذلك الخبر صدقاً فينبغي له أن يتريث ، هل المصلحة تقتضي نشره أم لا .

وهذا الصنف ينبغي للمسلم أن يترفَّع عنه ، لأن بعض الناس لديه هواية أن يأتي للناس بالجديد من الأخبار مما لم يسمعوه ، فيتحدث بكل ما يسمع ، ومن حدث بكل ما سمع وقع في الكذب بدون شك ، لأنه ليس كل ما جمعه صدقاً .

القسم الثاني : أهل الإيمان ؛ وهم أهل التثبت والتأنِّي وعدم العجلة وردِّ الأمور إلى أهلها ، فإن الأمور التي تتعلق بأمور المسلمين العامة مردها إلى فئتين من الناس ؛ هم الحكَّام وأهل الاستنباط والفقه من أهل العلم .

فالله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى أن نردَّ إلى هاتين الفئتين من الناس ، قال سبحانه وتعالى [وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ] فهذه هي المرجعية .

.....

وهذه المرجعية من الولاة وأهل العلم يجب احترامهم وتقديرهم والقيام بحقهم ورد الأمور إليهم ، فبِهم تقوم الكلمة وبهم تقوى شوكة المسلمين ويعلو أمر المسلمين .

ونجد أن هذا الفقه أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة رضي الله عنه ، فعندما سأل حذيفة رضي الله عنه النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الشرور التي تقع ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فقال له فما تأمرني إن أدركني ذلك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"[١] .

وعدم الكلام في وقت المحن بكل شيء له أدلة كثيرة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومِن فِعْلِ سلفنا الصالح ومن أقوالهم ، وقد يَحْمِل المسلم علماً وفي وقت من الأوقات لا يحدِّث بذلك العلم ويجوز له أن يكتمه لأن المصلحة تقتضي ذلك ، وهنا يبرز الحافظ الفقيه من الحافظ بغير فقه ، فالذي يحفظ النصوص بدون فقه لها لا يميز متى يقول ومتى يسكت ، لكن الذي يحفظ النصوص الشرعية بفقه لها هو الذي يميز في الأوقات ويميز في كل وقت ماذا يقول ؛ فمن ذلك :

أولاً : انظر إلى فقه أبي هريرة رضي الله عنه يقول ((حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين أو وعاءين من العلم ؛ أما جراب فبثثته ، وأما جراب لو بثثته لقُطِعَ هذا البلعوم))[٢] ، يعني أنه حدَّث بجرابٍ مما حَفِظَه ، وأما الآخر فلم يُحدِّث به لأنه لم يرَ مصلحة المسلمين في التحديث.

ثانياً : انظر إلى فقه عمر وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له [فعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أشهد أن لا إله الله وأني رسول الله" مَن قالها غير شاكٍّ فيها دخل الجنة ، فقال أحد الصحابة أُبَشِّرُ الناس يا رسول الله ؟ فقال عمر رضي الله عنه لا تبشرهم فيتكلوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبشرهم][٣] فأقرَّ صلى الله عليه وسلم ما قاله عمر ، لأنَّ مَن ليس عنده فقه سيسمع هذا النص ويسمع غيره من النصوص التي هي وعدٌ لأهل التوحيد فيفهم تعطيل الأعمال وعدم القيام بالفرائض ، فلذا قال عمر رضي الله عنه لا تبشرهم فيتكلوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبشرهم .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٥٥٧ ، "باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٤٣٤ ، "باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة" ؛ كلاهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه .

(٢) أورده البخاري في صحيحه برقم ١١٧ ، "باب حفظ العلم" ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٣) الحديث أخرجه مسلم بنحوه في الصحيح بطوله برقم ٤٦ ، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الشيخ الألباني ((في الحديث توجيهٌ سديد للدعاة أن لا يحدِّثوا بأحاديث الترغيب والترهيب إلا مع بيان المراد منها بالتفصيل ، خشيةَ أن يُساء فهمها فيتَّكلوا)) انتهى .

.....

ثالثاً : من الآثار أيضاً في هذا ما روي ابن مسعود رضي الله عنه "ما حدثتَ قوماً حـــديثاً لا يبلـــغ عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة))[١] .

رابعاً : رُوِيَ عن علي رضي الله تعالى عنه قوله "حدِّثوا الناسَ بما يعرفون ، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"[٢] .

فكل هذه النصوص وغيرها تدل على أنه لابد من الفقه للتحديث والتعليم وإخبار الناس بما يدور في واقعهم ، فلابد من الفقه في كل ذلك ، ومن فاته الفقه أوقع مفسدةً على الأمة .

* وتقدَّم معنا أنْ قلنا إن العلماء هم المرجع في أوقات المحن والفتن والمصائب ، وذكرنا الآية من سورة النساء [وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا] ، وهناك كلام للحسن البصري رحمه الله تعالى في هذا يقول "إذا أقبلت الفتنة عرفها كل عالم ، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل" ، فالعالِم يعرف الفتنة وهي مقبلة ، ويَزِنُها بميزان الشرع ، أما الجاهل فإنه لا يميز الفتنة من غيرها ، فلا يعلم أنه في فتنة إلا بعد أن يتلطخ بها ، وبعد أن تنقضي الفتنة وتذهب يعرف أنه كان في فتنة .

فعلى المسلم في أوقات الفتن والمحن عليه بثلاثة أمور مهمة ، فيجب أن ينتبه لها المسلم في كل الوقت ، وفي وقت المحن بصفة خاصة :

أولها : التأني ؛ فلا يندم عليه الإنسان ، ولكنه قد يندم على العجلة .

ثانيها : الرفق ؛ فلا يندم عليه الإنسان ، ولكنه قد يندم على الشدة ، فوفد عبد القيس استعجلوا ودَخَلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وآثارُ السفر عليهم وتأخَّر أشج عبد القيس واغتسل وتأهب لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمدحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال [إن فيك خصلتان يحبهما الله ؛ الحِلم والأناة][٣] .

ثالثها : الرفق ؛ فهو لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُترع من شيء إلا شَانَه .

---

(١) أورده مسلم في مقدمة صحيحه ، صفحة ٢١ ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده البخاري في الصحيح برقم ١٢٤ ، "باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا" ، عن علي بن أبي طالـــب رضي الله تعالى عنه .

(٣) القصة بنحو هذا السياق أخرجها أبو داود في السنن برقم ٤٥٤٨ ، عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع ، وكان في وفد عبدالقيس .

وهو معرفةُ الله ومعرفةُ نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفةُ دين الإسلام بالأدلة[١] .

---

[١] قوله "وهو معرفةُ الله ومعرفةُ نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفةُ دين الإسلام بالأدلة" : عرَّف الشيخ رحمه الله العلمَ المراد فقال "وهو معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة" ، وهذا يسمى العلم بالله والعلم بأوامر الله الدينية الشرعية ، فالعلم بالله كالعلم بأسمائه وصفاته ، وهذا العلم يورِث الخشية لله جل وعلا ، كما قال سبحانه وتعالى [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] وقال جل وعلا [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ] ، فالعلم بالله وبأسمائه وصفاته هو أجلُّ العلوم ، وهو أعظم العلوم .

ثم يأتي بعده في المرتبة العلم بأوامر الله الدينية الشرعية ، وهو العلم بما فرضَ الله جل وعلا علينا ، وبما أراده منَّا سبحانه وتعالى ديناً وشرعاً ، ورأس ذلك هو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال جل وعلا [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] وقال سبحانه وتعالى [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] فإن القضاء هنا في قوله "وَقَضَى رَبُّكَ" قضاء ديني شرعي ، وليس قضاء كونياً قدرياً ، فإن القضاء الكوني القدري كما في قوله تعالى [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] ؛ فهذا هو العلو النافع ، وهو العلم بالله والعلم بأوامره الدينية الشرعية .

وقوله "وهو معرفة الله" : أي معرفة الله جل وعلا بأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت ، وهو توحيد الربوبية ، وبأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وهو توحيد الألوهية ، وبأنه سبحانه وتعالى له أسماء حسنى وصفات عُلا ، وهو توحيد الأسماء والصفات .

ومعرفة الله سبحانه وتعالى تكون موجودة في كل إنسان ، كما جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة][(١)] أي يولَد على الإسلام ، وقد ذكر بعض العلماء أن الفطرة هي العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على العباد ، وذكر بعض المفسرين في تفسيره لسورة الأعراف نحو ذلك عند قول الله تعالى [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ][(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٢٧٠ ، "باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه ؟ وهل يُعرَض على الصبي الإسلام ؟" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٠٣ ، "باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين" ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ولشيخنا الشارح حفظه الله بسطٌ في هذه المسألة في "مبحث العهد والميثاق من شرح العقيدة الطحاوية" ؛ فليُراجع .

.....

وقد فسَّر علماء السنة العهدَ والميثاق الوارد في الآية بتفسيرين :

أولهما : أنه الفطرة التي فطر الله العباد عليها .

ثانيهما : أنه العهد الذي أخذه الله على بني آدم وهم في صلب أبيهم آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وقد ورد في السنة ما يؤيد هذا التفسير .

والفطرة جزء من العهد والميثاق ، ولذا قال تعالى [قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] فردَّ الله جل جلاله في هذه الآية على الذين انحرفوا كي لا يحتجوا بالتقليد والغفلة ، وكذا احتجَّ الله سبحانه وتعالى عليهم بإرسال الرسل ، فقال تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ] .

فقول الشيخ "معرفة الله" أي توحيده وعبادته وحده ، فهذا هو أول واجب على المكلفين .

وقوله "ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم" : رسولنا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين والمرسلين، فنؤمن ببعثته ، وأنه قد بعثه الله إلى الناس كافة ، وأنه لا نبي بعده صلوات الله وسلامه عليه ، وأن طاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه ، قال تعالى [مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً] .

ونؤمن أن شرعه صلى الله عليه وسلم واجب الاتباع ، قال تعالى [فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً] وقال سبحانه [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً] .

وقد ذكر الله جل جلاله أن هناك صنفاً طائعاً ومطيعاً لأوامر الله وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم سواء وافقت مصالحهم أم لا ، وصنف آخر من المنافقين لا يُذْعِنُ لأحكام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا إذا وافقت مصالحه وشهواته ، فقال تعالى في سورة النور [وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] .

فنبيُّنا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أصلٍ مستقل .

.....

وقوله "ومعرفة دين الإسلام بالأدلة" : أي بالأدلة الشرعية ، والإسلام دينٌ عام بعثَ الله تعالى به جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكلهم دينهم الإسلام ، قال الله تعالى [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] فما شرعه الله لنوح هو ما شرعه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما شرعه لإبراهيم ولموسى ولعيسى عليهم الصلاة والسلام ، فكلهم بُعثوا بدين الإسلام ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم [الأنبياء إخوة لعلات ، دينهم واحد وأمهاتهم شتى][1] والإخوة لعلات هم الإخوة لأب ، فأبوهم واحد وأمهاتهم شتى ، فكذلك الأنبياء في الدين ، فدينهم واحد ، وهو الإسلام ، والشرائع مختلفة ، قال جل وعلا [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا] .

فهذا هو الدين العام ، وهو الإسلام العام ، وأما الإسلام الخاص فهو الشريعة التي بَعَثَ الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم ، فهي ناسخة لجميع الشرائع السابقة ، ومهيمنة على جميع الشرائع السابقة ، قال تعالى [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] .

فالإسلام هو الدين الذي بعث الله به جميعَ الأنبياء والمرسلين ، وذلك من أجل التوحيد الخالص لله وعبادته وحده سبحانه لا شريك الله ، قال تعالى [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] وقال [إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ] .

---

(١) قال شيخنا الشارح حفظه الله ((هذا الحديث رواه البخاري في "كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَـرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا]" ، بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، و معنى الحديث أن أصلهم إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة ، فإنهم متفقون في أصول التوحيد ، وأما فروع الشرائع فوقع فيها اختلاف)) انتهى بتصرف . انظر "مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" .

الثانية : العمل به[١] .

---

[١] قوله "الثانية : العمل به" : أي العمل بذلك العلم ، فثمرة العلمِ العملَ ، فمن تعلم لكي يعمل نجح وأفلح ، ومن تعلم لغير هذا فلا نجاح ولا فلاح ، ورأس العمل أداء ما افترضه الله سبحانه على العبد من توحيده سبحانه وتعالى وعبادته وحده لا شريك له وأداء الفرائض ، قال جل وعلا في الحديث القدسي [ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه][(١)] فيجب على طالب العلم أن يعتني بالفرائض علماً وعملاً ، فيتعلمها ويتعلم العلمَ الذي تصح به الفريضة ويقوم بهذه الفريضة على الوجه الحَسَن ، ثم يُتبع ذلك بأداء النوافل .

فلا يليق بطالب العلم الشرعي أن يتخلَّف عن صلوات الجماعة ، ولا يليق به عدم حضور صلاة الفجر في جماعة ، ولا يليق به أن يصلي في أواخر الصفوف أو يأتي وقد أُقيمت الصلاة ؛ وهذا في شأن الفرائض .

وكذلك النوافل ؛ فقد كان الأئمة يختبرون مَن يأتيهم لطلب العلم في أدائه للنوافل ، فقد جاء أحد الطلاب إلى الإمام أحمد رحمه الله لكي يطلب عليه الحديث ، فنام ذلك الطالب عند الإمام أحمد ، فوضع الإمام أحمد رحمه الله إبريقاً من الماء عند ذلك الطالب ، وذلك كي يختبره هل يصلي من الليل أو لا ، فلمَّا خرج الإمام أحمد إلى صلاة الفجر وجد الماء كما هو ، فدل هذا على أن ذلك الطالب لم يقم يصلي من الليل شيئاً ، فقال الإمام أحمد "طالب علمٍ لا يصلي من الليل !" ، أي لا يصلح ولا يليق بطالب العلم الشرعي أن لا يكون له وِرْدٌ من الليل الذي هو دأب الصالحين .

ولا يُحفظ العلم إلا بعمل ، والذي يُطلَق عليه عالم هو العامل ، وكلما تعلم الإنسان علماً وجب عليه أن يعمل به ، وكلما عمل بما تعلم رقى إلى درجة الراسخين في العلم والإيمان .

أهل العلم يجب عليهم من العمل والخشية ما لا يجب على غيرهم ، فكلما كثر علم المسلم وجب عليه من العمل ما لا يجب على غيره ممن يجهل ما علمه هذا الشخص ، قال تعالى [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] ويقول سبحانه [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ] فوصفَ سبحانه أهلَ العلم بالعمل ، فالعالم هو القانت لله ، والقنوت هو طول العبادة .

وفَرْقٌ بين العالم بالله والعالم بأمور الدنيا ، كما قال تعالى [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٠٢١ ، "باب التواضع" ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

.....

والله عز وجل ميّز أهل العلم والعمل بقوله سبحانه وتعالى [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ] ؛ وهنا فرَّقَ الله تعالى في هذه الآية بين فئتين من الناس :

الفئة الأولى : أهل زيغ وضلال وشُبهات ؛ وهؤلاء يتبعون ما تشابه من النصوص لكي يضربوا النصوص بعضها ببعض ، فإذا وجدتَ شخصاً لا يسأل إلا عن المُشْكِل ، وأما الأمور الواضحة البيِّنة فلا يسأل عنها فهذا على خطأ ، وقد تجد صنفاً من الناس يجهل الضروريات التي لا تصح عبادته إلا بها ، فلا يسأل عنها ، لكن يسأل عن شيء فيه إشكال ، إما أن يريد التعجيز ، وإما يريد أن يضرب النصوص بعضها ببعض ، فهذا على خطأ ، وهو صاحب هوى .

الفئة الثانية : أهل الايمان والرسوخ في العلم والعمل الذين يقولون [آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا] ، فإذا عُرض عليه النص الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنْ فَهِمَه عقله وأهدي إلى تفسيره قال به ، وإن لم يبلغه عقله و لم يعلم تفسيره ومعناه قال [آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا] .

الثالثة : الدعوة إليه[١] .

---

[١] قوله "الثالثة : الدعوة إليه" : فبعد أن يتعلم ويعمل فإنه يدعو إلى الله جل وعلا بذلك العلم ، وهذا تنبيه من الشيخ رحمه الله أن من أراد أن يدعو إلى الله جل وعلا فعليه أن يتعلَّم ويعمل أولاً ثم يدعو ، فتكون دعوته على بصيرة ، كما قال الله جل وعلا [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] .

وهذه المسألة الثالثة التي أوردها الشيخ رحمه الله هي في الدعوة بالعلم إلى توحيد الله تعالى وشريعته التي أنزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن تعليم العلم أمانةٌ في عنق كل مَن فَقِهَ مسألةً في الدين ، فيجب عليه أن يعلمها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [نضّر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها][(١)] ، وهذا الحديث ينبهنا إلى أمر مهم ، وهو أن المبلِّغ لشرع الله لابد أن يكون فقيهاً بما يبلِّغه ، وليس مجرد حافظٍ فقط ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "سمع مقالتي فوعاها" يعني فقهها "فأداها كما سمعها" .

ونشر العلم به تُطمس آثار الجاهلية ، وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عندما تحدث عن أصناف أهل الأهواء قال "فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها و لم يكن هناك من أهل العلم والنبوة والمتابعة لها من يُظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال فيكشف ما في خلافها من الإفك والشرك المحال"[(٢)] انتهى .

فإذا انتشر العلم انطمست آثار الجاهلية وظهرت أنوار الهدى ، ولو أن كل طالب علم في قريته وفي حيِّه قام بما أوجب الله عليه من تعليم الناس وتفقيههم في مسجده لم يبقَ في الناس جاهل إلا فيما نَدَر، ولكن قد تجد في المسجد عدداً من طلاب العلم ويوجد من يصلي صلاة غير صحيحة فلا يعلمونه ولا يفقهونه ، بل قد يصلي طالب علم وبجواره شخص يؤدي الصلاة على غير فقه وعلم فلا يعلمه !

أين هذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا دخل المسجد ورأى رجلاً يصلي صلاة غير صحيحة ، فجاء الرجل وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ – ثلاثاً ، حتى في الثالثة قال الرجل والله لا أحسن غيرها يا رسول فعلمني ، فعلَّمه النبي صلى الله عليه وسلم"[(٣)] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٥٨٢ ، وقال عنه "حسنٌ صحيح" ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر "منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، المجلد الأول ، صفحة ٦" .

(٣) الحديث أخرجه بتمامه البخاري في الصحيح ٧١٥ ، "باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٦٠٢ ، "باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة" ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

.....

ومالك بن الحويرث رضي الله عنه لَمَّا قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عدة أيام في المدينة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يرى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أهله وحمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم [صلوا كما رأيتموني أصلي][(١)] ، فرجع إلى قومه معلماً .

ويقول الله سبحانه وتعالى [فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] ، فلم يقل ليتفقهوا في الدين ويجلسوا ! بل قال [لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] فيرجعون إلى أهليهم وإلى عشيرتهم فيقومون بما أوجبه الله تعالى عليهم من التعليم ، ويعرفون منزلة الفقه فينشرونه ، يقول صلى الله عليه وسلم [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين][(٢)] .

وانظر إلى حرص الصحابة رضي الله عنهم على حضور مجلس النبي صلى الله عليه وسلم للتفقه في الدين ، حتى قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب العلم "باب التناوب في العلم" ، وأوردَ قصةَ عمر رضي الله عنه وجاره الأنصاري ، فإن عمر رضي الله عنه كان يذهب إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وجاره الأنصاري يذهب إلى مزرعته ونَخْلِه ، فيرجع عمر فيخبر الأنصاري بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، وفي اليوم التالي يذهب عمر في تجارته والأنصاري يذهب إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا رجع الأنصاري أخبرَ عمرَ بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم .

وبعض الناس يحتج أنه إذا جلس يعلم في مسجد قريته وأهله لا يحضر له أحد ، أو يحضر شخص أو شخصان أو ثلاثة ، ولكن ليتذكَّر قول النبي صلى الله عليه وسلم [لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَم][(٣)] ويتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم [يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الرجل ، والنبي وليس معه أحد][(٤)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٩٥ ، "باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة" .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٩ ، "باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٧٢١ ، "باب النهي عن المسألة" ؛ كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

(٣) الحديث في قصة بعثِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه ، وقد أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٧٨٧ ، "باب فضل من أسلم على يديه رجل" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٤٢٣ ، "باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه" ؛ كلاهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٤) الحديث هو الذي في آخره صفات السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ، نسأل الله أن يجعلنا منهم ، وقد أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٢٧٠ ، "باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتوِ" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٢٣ ، "باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب" ؛ كلاهما عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

.....

ومهمات الدين في القرى والهجر الآن الأميون من الناس بحاجة إلى تعلُّمها ، كأنْ يتعلموا الفاتحة وقصار السور والأحكام الضرورية ، وطالب العلم الذي نَفَرَ إلى الجامعة في أي بلد وتخصص في العلم الشرعي إذا رجع فعليه أن يعلم قومه وعشيرته ، ويعلم أهله ويرشدهم إلى الخير والصواب .

وتُحْكَى قصة عن أحد علمائنا الكبار في هذا العصر ؛ أنه كان في وقت من الأوقات الماضية يدرس درساً في الفقه في منزله بعد العصر ، فيحضر بعض الطلاب فيدرسهم ، وفي ليلة أخذ الشيخ كتابه وجلس ينتظر فما جاءه أحد ، فنادى العامل الذي يعمل عنده في البيت وأجلسه وقرأ عليه درس تلك الليلة حتى لا يفوت الدرس ! وهذا حرصٌ على أن يعلِّم نفسه ويعلم غيره .

والدعوة إلى الله تعالى من أجلِّ العبادات ، قال الله سبحانه وتعالى [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] ، والدعاة إلى الله تعالى هم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] .

والدعوة إلى الله تعالى هي الرسالة التي كلف الله به جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، يقول الله سبحانه وتعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ] ، ويقول تعالى [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ].

والدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا بالعلم النافع المقرون بالعمل الصالح ، وبدون علم لا يستطيع المسلم أن يدعو إلى سبحانه وتعالى ، ومن دعا إلى الله بغير علم فلابد أن يقع في الخطأ ، ويترتب على خطئه هذا في الدعوة بغير علم أن يُعبد الله تعالى في الأرض بغير ما شرع ، وهذه المفسدة العظيمة تترتب على الدعوة إلى الله تعالى بغير علم ، وعلى تبني الجاهل للدعوة إلى الله .

ومن كان السبب في هذا الأمر فقد نصَّب نفسه شريكاً مع الله في تشريعه ، لأن المشرع هو الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى [شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] ، والشرع وحي يوحيه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذي ليس لديه علم بذلك الوحي – بالقران والسنة – ثم ينبري للدعوة إلى الله عز وجل بغير علم فالنتيجة أن يكون سبباً في أن يُعبد الله تعالى في الأرض بغير ما شرع ، والله سبحانه وتعالى يقول [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ] فجعل الذي يُشرِّع في الأرض شرعاً للناس يعبدون به الله ويتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى شريكاً .

.....

فينبغي لطالب العلم أن يصبر في طريق العلم والعمل والدعوة ، وأن لا يستعجل فيدعو بغير علم فيقع في الإثم ، وقد تقع المفاسد بناء على دعوته بجهل ، وبهذا نقول "كل داعية إلى الله فهو عالم" .

وبهذه المناسبة أريد أن أبيِّن مفهوماً لدى بعض الناس اليوم في الفصل بين العلماء والدعاة ، فإن بعض الناس قد يفصل بين العلماء والدعاة إلى الله عز وجل ، فيقول فلان داعية وليس بعالم وفلان عالم وليس بداعية .

وهذا التفريق الذي أحدثه بعض الناس اليوم بين الدعوة والعلم ، أو بين الداعية والعلم ، فيقال فلان داعية وفلان عالم ، فهذا لا أساس له ، وهذا التفريق غير صحيح ، فالعلماء هم الدعاة ، فإذا كان كل داعية يدعو بما عَلِمَ فهو عالم بما يدعو إليه ، فإنَّ عليه أن لا يدعوَ إلى الله إلا بعلم .

وهذا التفريق بين الداعية والعالم أحدثَ شعوراً عند بعض الدعاة أنه ليس بحاجة إلى العلم ، وأن العلم يهم غيره ولا يهمه هو ، فتورطوا في الدعوة إلى الله على جهل ، فوقع الانحراف بسبب هؤلاء أو بسبب بعضهم .

وقد أَلَّفَ بعض العلماء المعاصرين رسالة قيمة في هذا الشأن سماها "العلماء هم الدعاة"[1] ، فلا يفهم شخص أن الداعية لا يكون إلا عالماً بجميع تفاصيل الشريعة ، لا ؛ فكل مَن علم مسألة من مسائل الدين ووعاها وفقهها فإنه يعلمها للناس ويدعو إلى الله تعالى بتلك المسألة من الدين ، والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم [نضّر الله وجه امرئٍ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها][2] ، وهذا الحديث الجليل نفهم منه أنه لابد مع العلم بالمسألة من فقهها ، فليس حفظاً فقط ، بل حفظ وفهم وفقه بالمسألة التي تدعو إليها .

فلا دعوة إلى الله تعالى إلا بعلم وبصيرة ، كما قال الله سبحانه [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] فأتباع النبي صلى الله عليه وسلم يدعون إلى الله على بصيرة ، ولا ينجح في طريق الدعوة إلى الله عز وجل إلا العلماء بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح .

---

(١) وهي رسالة للشيخ الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٥٨٢ ، وقال عنه "حسنٌ صحيح" ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

.....

فإن قال قائل : ما الدليل على اشتراط على أخذ الدين وِفْقَ فَهْمِ سلف الأمة ؟

نقول : لابد أن تُفهم الأدلة على فهم سلف الأمة ، والأدلة كثيرة في هذا ، ويكفينا في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الثناء على السلف [خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم][(١)] ، وقلنا بوفق فهم الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد عاصروه صلى الله عليه وسلم ، وفهم التابعين لأنهم أخذوا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلابد من فهم السلف .

* وقد أمر الله عز وجل بالرد إلى العلماء عند التنازع والاختلاف ونزول الفتن والمحن والنوازل ، يقول الله تعالى [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] ، والرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو الرد إلى سنته صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن أصحاب الفقه بالكتاب والسنة والعلم بها هم أهل العلم والفقه والاستنباط .

وأمر الله بالرد إلى العلماء عند نزول الفتن والمصائب أو ما يتعلق بخوف الأمة وأَمْنها ، يقول تعالى [وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً] ، وهذه الآية العظيمة طلاب العلم في هذا العصر بحاجة ماسة إلى فقهها وإلى العمل بها ، فقد قسم الله عز وجل مواقف الناس عند نزول الفتن والنوازل المحن بالمسلمين إلى قسمين :

القسم الأول : أهل النفاق ؛ وهؤلاء همهم نشر الأخبار وإذاعتها بين الناس ، وهم المرجفون في الأرض ، قال تعالى فيهم [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا] .

القسم الثاني : أهل الإيمان ؛ وهم أهل التريث والتأني ، فلا يتصفون بالعجلة ، بل لهم مرجعية يرجعون إليها في الأمور المهمة العامة التي تتعلق بمصالح الناس أو بمفاسدها ، فمرجعيتهم ولاة أمرهم وأهل العلم ، قال الله سبحانه وتعالى [وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٤٥٨ ، "باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٦٠١ ، "باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

.....

ولذا أُريدُ أن أنبِّه إلى أمر ، في قول النبي صلى الله عليه وسلم [خيركم من تعلم القرآن وعلمه][1] قال العلماء هذه الخيرية لمن تعلم القرآن مع فقهه وفهمه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب الصحابة رضي الله عنهم بهذا الخطاب ، والصحابة كانوا حفَّاظاً وفقهاء ، فيقول ابن عمر "كنا نحفظ العشر الآيات ، فلا نتجاوزها حتى نَعْلَمَ ما فيها ، فتعلَّمنا العِلمَ والعمل" ، وحفظ رضي الله عنه سورة البقرة في عشر سنوات ، فهو حفظٌ مع فقه .

والمصائب التي تنزل الآن بالمسلمين لا ينبغي أن تكون مجالَ حديثٍ للناس في أسواقهم ومنتدياتهم ومجالسهم ، بل ينبغي على العامة ألا يتحدثوا فيها حتى يسمعوا ماذا يقول أهل العلم فيها ثم يتحدثون بما يقوله أهل العلم الذين أمر الله تعالى بالرجوع إليهم [وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً] .

وبعض الناس – وهم فئة قليلة ولله الحمد وليست بكثرة كاثرة – يتنكر للمرجعية العلمية من أهل العلم الذين الأمر الله بالرد إليهم ، بل بعضهم كما نسمع قد يتلفظ على أهل العلم بألفاظ خطيرة وسيئة ، بل بعضهم يفرق بين أحكام الدين ، فيقول الأحكام في الطلاق والنكاح نأخذها من فلان وفلان من أهل العلم ، والمسائل التي تتعلق بالقضايا والنوازل والفتن نأخذها من فلان وفلان من الدعاة ، ثم نسمع أن بعضهم يقول فلان من علماء الحيض والنفاس أو من علماء كذا ، يعني لا يتكلم إلا في الحيض ولا يتكلم إلا في النفاس ! وهذا كلام خطير جداً على قائله ، وذلك لأن فيه استهانة بأحكام الشريعة ، بالإضافة للاستهانة بأهل العلم ، فأحكام الحيض من الذي أتى بها ؟! وأين ذُكرت هذه الأحكام ؟! جاءت في القرآن ، قال تعالى [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى] ، وأحكام النفاس من أتى بها ؟ أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم كيف تُفرِّق في الفتوى والأحكام ! فلان من العلماء تأخذ منه أحكام الطلاق ، وأما أمور المحن والنوازل فإنك لا تذهب إلى العلماء ، بل تذهب فيها إلى فلان الذي هو من صنف الدعاة ؟! وكيف فرّقت هذا التفريق بين العلماء والدعاة ؟!

فالعالم بالقرآن وفقهه والسنة وفقهها هو الذي يجب أن يُستفتى في كل شيء ، لأن كل شيء يُحْكَمُ فيه على ضوء كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفهم السلف الصالح لهما ، فعلى من يفهم ذلك ويفرق بين العلماء والدعاة أن يتقي الله عز وجل ، وعلى من يتكلم على العلماء بذلك الكلام أن يتقي الله عز وجل ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى من هذا الكلام وأمثاله .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٤٦٣٩ ، "باب خيركم من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه" ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

.....

* **مسألة :** ما هو المنهج الذي يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يسلكه في دعوته ؟

الجواب : هذا المنهج قد وضحه الله سبحانه وتعالى بقوله [ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] ؛ فهذه الآية في آخر سورة النحل وضح الله فيها كل أساليب الدعوة وطرقها ، فقسَّم الله سبحانه وتعالى حال المدعوين إلى ثلاثة أقسام :

١. قسم يُدعى بالحكمة .
٢. وقسم يُدعى بالموعظة الحسنة .
٣. وقسم يُجادل بالتي هي أحسن .

القسم الأول : من يُدعى بالحكمة ، والحكمة هي السنة ، وقد ذُكرت في عدة آيات في القران ومعناها السنة التي أوحاها الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] وقال [وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ] أي السنة التي أوحاها الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

والصنف من المدعوين الذي يدعى بالسنة هم المنقادُون لأمر الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فينقاد ويستجيب عندما تقول له هذا حلال وهذا حرام ، فهو يريد أن تبين له الأحكام من الواجبات والمحرمات ، ومن الفرائض والمنهيات ، فتوضح له الشريعة وتشرحها له ، وهذا كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث يسلم الرجل ثم يسأل عن شرائع الدين فيبين له النبي صلى الله عليه وسلم تلك الشرائع ، والناس بحاجة إلى هذا ، وهم بحاجة إلى بيان الأحكام حتى يعبدوا الله عز وجل على بصيرة .

القسم الثاني : من يُدعى بالموعظة الحسنة ، وهؤلاء هم صنف من أهل الإيمان لكن استجابتهم فيها ضعف ، فيُذَكَّرون بالوعد والوعيد وبالمواعظ التي تحيي القلوب من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكفى بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم موعظة .

ويجب على المسلم الداعية إلى الله عز وجل في مسألة الوعظ أن لا يخرج عن المنهج القرآني والمنهج النبوي الذي في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتي للناس بقصص وأحداث كاذبة لم تقع ، أو يبالغ في قصص فيزيد فيها ، قائلاً بأن في هذا مصلحة وتذكيراً للناس ، بل عليه أن يأتي بالقصص الصحيح ، وثلث القران وعد ووعيد ؛ في وصف الجنة ووصف النار وفي حياة البرزخ وفي الترغيب والترهيب والتخويف ، وهكذا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

.....

ولقد حذر السلف رحمهم الله تعالى من القُصَّاص[١] ، وهم الذين يأتون بأحاديث وقصص موضوعة مكذوبة لا صحة لها ، وهذا المسلك لا يسلكه الداعية إلى الله سبحانه وتعالى ، والشيطان قد يلعب ببعض الناس فيزين له أن يأتي للناس بأشياء غير صحيحة من باب التذكير والوعظ ، لكن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] .

فتدعو إلى الله بهذا الوحي الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ففيه الحياة للناس ، وفيه النور الذي يضيء للناس طريقهم ، قال تعالى [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] ، ووصف الله تعالى الوحي بأنه روح [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] .

القسم الثالث : من يُدعى بالجدل ، فيجادل بالتي هي أحسن ، وهذا يُدعى به المعاندون من أهل الملل الأخرى ، قال تعالى [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] .

والجدال له شروط وآداب يجب على المجادِل أن يتحلى بها :

الأول : الإخلاص لله عز وجل ؛ فلا يكون المناظِر والمجادِل قصدُه الانتصار والانتقام لنفسه ورأيه ، بل يكون قصده أن يوصِل الحق .

الثاني : أن يكون المجادل والمناظر عالماً بالحق الذي يريد أن يوصله وبالشر الذي يريد أن يدفعه ، فيكون على علم بالحق الذي يريد أن يقرره وأنْ يتبعه الناس ، والشر الذي يريد أن يدفعه يكون أيضاً على علمٍ بعَوَارِه ويضعفه وبفساده فينقضه ؛ فإذا توفر في الشخص العلم بهذا والعلم بهذا فلاشك أنه سينجح في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) فقد قال أبو إدريس الخولاني رحمه الله في هذا "لأنْ أرى في ناحية المسجد ناراً تتأجج أحب إليّ من أن أرى في ناحية المسجد قاصَّاً يقص" ، وقال الإمام مالك رحمه الله "إني لأكره القصص في المساجد" وقال "ولا أرى أن يُجْلَسَ إليهم ، وإن القصص بدعة" .

.....

وكلما علم الإنسان الشر ومفاسده اشتد في دفعه واشتد في تقرير ضده من الحق ، ولذا قال عمر رضي الله عنه "إنما تُنْقَضُ عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية" ، فالذي لا يعرف الجاهلية وما فيها من فساد لا يشتد دفعه ونقضه لها وبيانه للحق الذي يدفع تلك الجاهلية[١]، وكما في صحيح البخاري من حديث حذيفة رضي الله عته قال [كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني][٢] ، ولذا فكان حذيفة مرجعاً للصحابة في هذا وقد كان عمر رضي الله عنه على جلالة قَدْرِه يسأله عن المنافقين .

الثالث : أن يكون الشخص الذي تناظره يريد الوصول إلى الحق ؛ لكن إذا علمت أن الشخص الذي تجادله لا يريد الحق ، وإنما يريد ضياع الوقت ، ولا يريد اتباع الحق ، فهذا لا داعي للاستمرار معه في الجدل والمناظرة ، فمتى ما شعرت أن ذلك الشخص لا يريد اتباع الحق فأعْرِض عنه ، لأنه لا فائدة في الجدال معه في ذلك الوقت .

---

(١) يقول الشيخ صالح الفوزان في كتابه "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، صفحة ٩٣" ((لا يعرفُ قيمةَ الصحة إلا من ذاق المرض ، ولا يعرف قيمة النور إلاَّ من وقع في الظلام ، ولا يعرف قيمة الماء إلاَّ من عطش ، وهكذا لا يعرف قيمة الطعام إلاَّ من مسّه الجوع ، ولا يعرف قيمة الأمن إلاَّ من أصابه الخوف ، إذاً لا يعرف قيمة التوحيد وفضل التوحيد وتحقيق التوحيد إلا مَن عَرَفَ الشرك وأمور الجاهلية حتى يتجنّبها ويحافظ على التوحيد .

ومِن هنا يظهر خطأ هؤلاء الذين يقولون لا داعي أن نتعلم العقائد الباطلة ونعرف المذاهب الباطلة ونرد على المعتزلة والجهمية ، لأنهم بادوا وذهبوا ، علِّموا الناس التوحيد ويكفي ، أو بعضهم يقول لا تعلِّموهم التوحيد لأنهم أولاد فطرة نشأوا في بلاد المسلمين ، علِّموهم أمور الدنيا ، الصناعات والاختراعات والأمور الحديثة ، أما التّوحيد فيحصِّلونه بفطرتهم وبيئتهم ، نعم وُجِدَ مَن يقول هذا .

وبعض الناس يقول الناس تجاوزوا مرحلة الخرافات لأنهم تثقفوا وعرفوا ، فلا يمكن أنهم يشركون بعد ذلك ، لأن الشرك كان في الجاهلية ، يوم كان الناس سُذَّجاً ، ويسمون الشرك في العبادة شركاً ساذجاً ، والشرك عندهم ما يسمونه بالشرك السياسي أو شرك السلاطين أو شرك الحاكمية ، ولذلك لا يهتمون بإنكار هذا الشرك الذي بُعثت الرسل لإنكاره ، وإنما ينصبُّ إنكارهم على الشرك في الحاكمية فقط .

وسمعنا من يقول إن الذي يُدرِّس عقائد المعتزلة والرد عليهم مثل الذي يرجم القبر ، لأنهم ماتوا ، نقول يا سبحان الله ! هم ماتوا بأشخاصهم لكن مذاهبهم باقية ، وشبهاتهم باقية ، وكتبهم تُطبع الآن وتُحَقَّقَ ويُنفق عليها الأموال وتُرَوَّج ، فكيف نقول نتركهم لأنهم ماتوا ، والله تعالى ذكرَ شبهات المشركين من الأمم السابقة – فرعون وهامان وقارون وقوم ونوح وعاد وثمود – مع أنها أمم بائدة ، ذكر شبهها وردَّ عليها ، فالعبرة ليست بالأشخاص ، العبرة بالمذاهب ، والعبرة بالشُّبَه الباقية ؛ ولكل قوم وارث .

وكل هذه من حِيَلِ الشيطان لبني آدم ، والواجب أننا كما نعرف الحقَّ يجب أن نعرف الباطل ، من أجل أن نعمل بالحق ونتجنَّب الباطل ، فإن هناك أناساً الآن كثيرين يزهِّدون في تعلم هذه الأمور ، في تعلُّم التوحيد ، تعلُّم الشرك ، معرفة الشُّبَه والضلال ، وهذا إما من جهلهم وعدم معرفتهم ، وإما لأنهم يريدون الدَّسَّ على المسلمين وإفساد عقيدة المسلمين ، فلنحذر من هذا الأمر)) انتهى بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري بطوله في صحيحه برقم ٦٥٥٧ ، في كتاب الفتن ، "باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٤٣٤ ، "باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن" ؛ كلاهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

.....

الرابع : التحلي بأخلاق الإسلام وآدابه في حال المناظرة ؛ فلا يكون الداعية فظاً ولا غليظاً ، لأن هذا أمرٌ نهى الله عنه ، قال تعالى [وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ] ، والله عز وجل قال لموسى وهارون [فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا] .

فأنت حين تجادل وتناظر فلا يكن قصدك أن تشمت وأن تهين هذا الرجل ، بل ليكن قصدك أن تهديه إلى الصراط المستقيم هداية البيان والإرشاد والدلالة التي قال الله تعالى فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] .

إذن يجب عليك أن تسلك الأسلوب والطريق الذي يوصل إلى الحق ، وبه يهتدي ذلك الشخص ، فلا تسب ولا تشتم ولا تنفعل ، بل تتحلى بالآداب والأخلاق الإسلامية ، حتى تكون داعية إلى الله تعالى بقولك وفعلك ، وإن تطاول عليك ذلك الشخص فعليك أن تصبر وتحتسب وترد عليه رداً جميلاً حسناً ، لأنك أنت عندما تناظره وتجادله فهو يرى فيك الإسلام الذي تريد أن تقرره وتدافع عنه ، فلابد أن تظهر بآداب الإسلام وأخلاق الإسلام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم .

* **مسألة** : هناك صفات للداعية إلى الله عز وجل نذكرها على سبيل الإجمال :

أولاً : التقوى التي أمر الله تعالى بها جميع العباد ، قال تعالى [وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ] .

ثانياً : الإخلاص لله عز وجل ؛ ويدخل في ذلك بأن يقصد بدعوته وجه الله ورضاه ، ثم الإحسان إلى الناس بهدايتهم إلى الصراط المستقيم وبيان الحق لهم .

ثالثاً : العلم ، وقد تحدثنا عنه .

رابعاً : الحلم وضبط النفس ، فلا يغضب ولا ينفعل ولا ينتقم لنفسه ، بل يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه ما انتقم لنفسه قط[1] .

---

(١) كما أخرج البخاري في الصحيح برقم ٦٣٤٧ ، "باب كم التعزير والأدب" ، عن عائشة رضي الله عنها قالت [ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء يُؤتَى إليه ، حتى يُنتهك من حرمات الله فينتقم لله] ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح برقم ٤٢٩٤ ، "باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام" .

.....

خامساً : أن يبدأ بالأهم فالأهم ، وأهم ركن في الدين هو توحيد الله ، فلا يُعقل أن يكون في بيئة ينتشر فيها الشرك والذبح لغير الله والطواف بالقبور والاستعانة بهم فيُهمل هذا الجانب ولا يصحح التوحيد والعقيدة ، فيدعو إلى العبادات والفضائل ! فإن هؤلاء إذا كانوا غارقين في الشرك الأكبر وفعلوا العبادات فإن عباداتهم لا تُقبل ، ولذا فقد كان كل رسول يقول لقومه [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] .

سادساً : أن يسلك في دعوته المنهج الذي نصَّ الله تعالى عليه في كتابه الكريم ، قال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] .

الرابعة : الصبر على الأذى فيه[١] .

---

[١] قوله "الرابعة : الصبر على الأذى فيه" : هذه هي المسألة الرابعة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى "الصبر على الأذى فيه" ، فينبغي لطالب العلم أن يصبر في طريق العلم والعمل والدعوة ، فكل من دعا إلى الله جل وعلا لابد له من الصبر على ما يحصل له من الأذى ، فهذه سنة من سنن الله أن الداعية يؤذَى ، فالله عز وجل قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ] ، فالحق والباطل بينهما تصارعٌ إلى يوم القيامة ، والغَلَبة للحق .

فالصبر في طريق تبليغ العلم وفي طريق الدعوة إلى الله عز وجل لابد منه ، ولا ينجح الداعية إلى الله سبحانه وتعالى في دعوته إلا بالصبر ، وبالصبر ينال المسلم الدرجات العُلا في الدنيا والآخرة ، ولا يُمَكَّن المسلم في تبليغ العلم وتبليغ الدعوة إلا بالصبر على الأذى ، وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أوذوا وصبروا ، قال تعالى [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا] ، وهكذا أتباعهم من أهل العلم والدعاة إلى الله عز وجل لابد أن يصبروا .

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعليلاً قيِّماً للأذى الذي يصيب الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن يسير على نهجهم من أتباعهم ؛ وهو أن الرسل عليهم الصلاة السلام وأتباعهم يدعون الناس الى المنهج الصحيح والصراط المستقيم الذي يخالف رغبات كثير من الناس ويخالف شهواتهم ويخالف ما هم عليه من عادات وتقاليد ، فلهذا يُؤْذَون ويتعرض لهم الناس بالأذى ، فهذه الأمور تمنع الناس من اتباع الحق، فقد يكون الرجل في قرارة نفسه يعرف أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق ، لكنه لا يتَّبعه ، إما لحب رياسة هو فيها أو جاهٍ أو تقليد لآباء وأجداد أو حميَّة لجاهلية أو حسد لصاحب الحق ؛ فهذه كلها أسباب تمنع الناس من قبول الحق .

فأبو طالب صرح في شعره بأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حق ، وأنه صادق لا يكذِب ، ولكن منعه من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم الحميةُ للجاهلية ولِمَا عليه الآباء والأجداد ، فمات على ملته و لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

---

(١) فقد ورد عن أبي طالب قوله شعراً :

ولقد علمتُ بأن دين محمد — من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة — للقيتني سمحاً بذاك مبينا

.....

وهكذا أبو جهل صرَّح بأن النبي صلى الله عليه وسلم صادق ، ثم صرح بالسبب الذي منعه من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم ، ففي بعض الأوقات قد يكون الرجل حاسداً لصاحب الحق ولا يريد أن تعلو كلمة ولا أن تظهر ، فلا يتبعه هو في نفسه ، بل وينهى الناس عن اتباعه .

وقد يكون الرجل صاحب سلطان وصاحب جاه في أهله وعشيرته ، فلا يتبع الحق خوفاً من أن يفقد ذلك السلطان أو يفقد ذلك الجاه ، وهذا حصل مع فرعون وهامان وقارون الذين لم يتبعوا موسى عليه السلام لأنهم كانوا مستعبِدين الناس ، فقد كانوا أصحاب سلطة بغي وعدوان على الناس ، فعرفوا أن ما جاء به موسى ينهى عن الباطل الذي كانوا هم عليه ، فلم يتبعوا موسى عليه السلام .

وقد يكون صاحب الباطل مستغلاً لأموال الناس بالباطل ، ويعرف أن ما جاء به صاحب الحق سيقطع عليه الطريق في ذلك الاستغلال ، كما يفعله السحرة والمشعوذون ، وأهل التصوف وأصحاب الطرق المبتدعة الذين استغلوا جَهَلَةَ الناس وعوام الناس وأكلوا أموالهم بالباطل بحجة أنهم يتبركون بهم أو يدعون لهم أو يستغيثون لهم أو يستغيثون بهم من دون الله عز وجل ، فيمتنعون عن اتباع الحق خوفاً من ذهاب هذا الأمر عنهم .

* قال بعض أهل العلم ((فيجب على الداعية أن يكون صابراً على دعوته ، مستمراً فيها ، صابراً على ما يتعرض دعوته أو ما يعترضه هو من الأذى ، لأن الداعية يطلب من الناس أن يتحرروا من شهواتهم ورغباتهم وعادات أقوامهم ، ويَقِفُوا عند حدود الله تعالى في أوامره ونواهيه ، وأكثر الناس لا يؤمن بهذا المنهج ، فلهذا يقاومون الدعوة بكل قوة ، ويحاربون دعاتها بكل سلاح ، قال تعالى عن لقمان الحكيم في وصيته لابنه [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] .

وعلى الداعية أن يتأسى بالرسل الكرام الذين قصَّ الله علينا أخبارهم وما حصل لهم من مشاقِّ الدعوة ومتاعبها ، من إعراض الناس عن دعوتهم وأذيتهم بالقول والفعل ، مع طول الطريق واستبطاء النصر ، قال تعالى [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ] ، وقد جعل الله تعالى العاقبة للمتقين وكتب النصر لدعاة الحق ، قال تعالى [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ]))

انتهى .

.....

فتقرر إذاً أن الدعاة يأتون بما لا يتَّفق مع رغبات الناس وشهواتهم ، ويكون أكثر الناس في طريق الباطل ، كما قال الله سبحانه وتعالى [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] ويقول سبحانه وتعالى [وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ] .

ولذا فالقاعدة التي يقولها الناس بجهلٍ منهم "إن نجاح الداعية بكثرة أتباعه" غير صحيحة ، فكثرة الأتباع ليست دليلاً على النجاح في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا يختلف من مكان لمكان ، لكن لا نجعل العلامة هي كثرة الأتباع أو كثرة المستجيبين ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الرجل ، والنبي وليس معه أحد][(١)] فبعض الأنبياء لم يتبعه أحد ، وهذا لا يدل على أن ذلك النبي لم يخلص أو لم يبذل جهده في طريق الدعوة الى الله تعالى ، فهو نبي اصطفاه الله وأوحى إليه الوحي ، فلابد أن يُخلِص ، لكن لم يستجب الناس له فلا يدل هذا على أنه لم ينجح في دعوته إلى الله عز وجل .

فإذا اجتهد الداعية في دعوته والتزم بالحق الذي في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونهج السلف الصالح رحمهم الله وبذل جهده في سلوك الوسائل والطرق التي تتفق مع الآداب الشرعية وأخلاق الإسلام ثم لم يستجب الناس له فلا حجة عليه بعد ذلك ، فهو عليه البلاغ فقط ، قال تعالى [إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ] .

* **مسألة** : هناك أمور تعين المسلم على الصبر في طريق الدعوة الى الله عز وجل :

الأمر الأول : طول القنوت والعبادة ؛ بأن يكون الداعية عابداً لله عز وجل ، وهذا ما أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن أمره تعالى بالصبر في مواضع من القرآن قال له [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة .

وإذا دخل الداعية الى الله تعالى العبادة نسي الأذى الذي يتعرض له من قِبَلِ المعرِضين عن الحق ، ولو جلس يفكر فيما قاله فلان وفلان وما يخطط له فلان من المكر تعب ، وسيصيبه إحباط ، ولن يستمر في طريق الدعوة ، لكن لو رجع الى بيته بعد أن لقي الأذى في الطريق أو في السوق أو في أي مكان رجع الى بيته فأخذ المصحف وقرأ أو توضأ وصلى واستعان بالله سبحانه وتعالى فسينسى ذلك الهم والغم ، ولا يكون ذلك الأذى سبباً في إحباطه .

---

(١) الحديث بنحوه أخرجه أبو داود في السنن برقم ١١٢٤ ، وأخرجه أحمد في المسند برقم ٢٢٢١٠ ؛ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، وحسَّنه الشيخ الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود .

.....

والآن بعض الناس – حتى من طلاب العلم – مجرد ما يتعرض لأذى يقف ولا يواصل الخير ، فتجده يبدأ مشروعاً من مشاريع الخير – سواء بالقول أو بالفعل – في طريق الدعوة الى الله عز وجل ، ويبدأ سبيلاً لإيصال الخير عن طريقه إلى الناس ، فيتعرض له بعض السفهاء بالأذى ، فيقف عن هذا الخير ويصبح إنساناً سلبياً في مجتمعه لا ينتفع به أحد ، لأنه لا يريد أحداً أن يتكلم فيه أو يطعن فيه أو يؤذيه أو يكتب فيه ويشتكيه ! فهل أنت أفضل من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ؟! هل تريد أن يعطيك الله ميزة ما أعطاها لأفضل الخلق صلى الله عليه وسلم ؟!

فالنبي صلى الله عليه وسلم تكلموا فيه ، وقالوا إنه ساحر وإنه يفرِّق بين المرء وزوجه ، وكانوا يتعرضون لمن يدخل مكة حتى يضع في أذنيه القطن كي لا يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم من شدة ما يسمع من كلام المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج من بلده مطروداً ، وكُسِرَت رُباعيته صلى الله عليه وسلم ، ثم تأتي أنت ولا تريد أحداً أن يَمسَّك ولا يقربك ولا يتكلم ويطعن فيك ؟! فهذه ميزة لا تمنحها أنت ، لأنه لم يُمنحها مَن هو أفضل منك ، لكن عليك أن تستعين بطول القنوت والعبادة والطاعة لله عز وجل ، لأن هذا يريحك عن التفكير في الأذى الذي يصيبك من الناس .

الأمر الثاني : طلب العلم النافع ؛ فأنت في طلبك للعلم ستدرس ما تعرض له الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام مما ورد في القرآن من قصص عنهم ، وهذه تسلية للداعية إلى الله عز وجل ، فيعرف أن من هو أفضل منه ومن هو خير منه قد تعرض لذلك الأذى و لم يسلم ، فهذه تعينه .

الأمر الثالث : قراءة سير السلف الصالح رحمهم الله في تبليغهم للدعوة ، فلا تجد إماماً من أئمة المسلمين إلا وتعرض للأذى وصَبَر[1] .

الأمر الرابع : دراسة الآداب الإسلامية والأخلاق الشرعية التي تتعامل بها مع الناس ، ومع من يتعرَّض لك بالأذى ، لأنك داعية ، فلابد أن تتحمل ، ولا تسب من سبك ولا تشتم من شتمك ولا تضرب من ضربك ولا تمكر بمن مَكَرَ بك ، لأن هذا ليس طريق الداعية ، وستَفْقِد القدوة الحسنة التي يحتاجها الناس .

---

(١) يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في معرِض حديثه عن منزلة الصبر " أنه يورِث صاحبه درجة الإمامة ؛ سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين ، ثم تلا قوله تعالى [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ]" . انظر : مدارج السالِكين ، المجلد الثاني ، صفحة ١٥٣ .

.....

فعليك أن تَعْرِفَ كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الناس ، وكيف كان يعفو ويصفح ولا ينتقم لنفسه صلى الله عليه وسلم ، وتسيرَ على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فتسمع الكلام وتصبر عليه .

الأمر الخامس : أن لا تسمع من الناس من يُبَلِّغك عن كلام الناس فيك ، فتنهى من ينقل لك أن فلاناً قال فيك كذا وكذا أو طعن فيك بكذا وكذا ، لأن هذا الكلام لا يعينك على طريق الدعوة ، بل هذا يُقِعِدك عن الدعوة إلى الله عز وجل ، أما هذا الذي يبلِّغك عن كلام الناس فيك واجبُه أن يرد عن عرضك بما يعلم فيك من الخير ، ولا ينقل ذلك إليك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول [دعوني أخرج الى أصحابي سليم الصدر][1] فينهى أن يبلِّغَه أحدٌ شيئاً عن الناس .

---

(١) أخرج أبو داود والترمذي في السنن عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [لا يبلِّغني أحدٌ عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر] ، وقال الترمذي "هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد زِيدَ في هذا الإسناد رجل" ، والحديث ضعَّفه الألباني في تحقيقه لسنن الترمذي .

فائدة : يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد ((فجهاد النفس أربع مراتب :

إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتَها عِلمه شَقِيت في الدارين .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله .

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ؛ فإن السلف مُجْمِعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلِّمه ، فمن عَلِم وعَمِل وعَلَّم فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات)) انتهى ؛ انظر : المجلد الثالث ، صفحة ٥ .

والدليل قوله تعالى [وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ][١] .

---

[١] قال الشيخ رحمه الله "والدليل قوله تعالى [وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]" : استدل الشيخ رحمه الله تعالى على تلك المسائل الأربع بهذه السورة الجليلة – سورة العصر .

ففي هذه السورة العظيمة أقسم الله عز وجل بالعصر ، وأخبر أن الإنسان في خُسر ، إلا من استثناه الله جل وعلا ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، فآمنوا وعملوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر في العلم والعمل والدعوة ، فالعلم والعمل والدعوة كلها تحتاج إلى صبر ومصابرة ، قال سبحانه وتعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] .

وقوله تعالى "وَالْعَصْرِ" : فسَّر العلماء رحمهم الله العصر بتفسيرين :

أولها : أنه وقت صلاة العصر ، وهو وقت العشي .

ثانيها : أنه مطلق الزمن الذي تقع فيه الحوادث والوقائع ، وهذا هو الأقرب للصواب ، لأن العصر هنا ليس مقيداً بالعشي الذي هو وقت الصلاة ، ولكنه مطلق الزمن .

وقوله تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ" : أي في هلاك وضياع وعدم استفادة من الوقت .

وقوله تعالى "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" : فاستثنى الله تعالى أهل الايمان والعمل ، لأن كون العبد يقول إن الإيمان هو النطق بالشهادتين ، أو هو الاعتقاد فقط ، دون عمل ، فهذا قول غير صحيح ، وهو قول المرجئة[(١)] ؛ فلابد مع الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان لابد معها من العمل الصالح ، كما قال تعالى [إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] .

وقوله تعالى "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" : المواصاة بين المؤمنين هي النصيحة ، فيوصي بعضهم بعضاً بالحق وبالصبر على اتباع الحق والدعوة إلى الحق ، قال جرير بن عبدالله البجلي رضي الله تعالى عنه [بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم][(٢)] .

---

(١) فلابد مع اعتقاد القلب وقول اللسان من عمل الجوارح ، وأما المرجئة فهم فرقة من فرق الضلال يرون أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان ، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وتفصيل هذا المبحث يُراجع فيه "مبحث الإيمان ، من مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" ، لفضيلة شيخنا الشارح عفا الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٥ ، "باب الدين النصيحة" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٨٣ ، "باب بيان الدين النصيحة" ؛ كلاهما عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

.....

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ؛ قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم][1] .

ولو تواصى الناس بالحق وأوصى بعضهم بعضاً بالحق من باب التناصح لقلَّ الفساد في الأرض ، لكن المصيبة أن يشيع بين الناس المجاملة والمداهنة ، وأن يكون الشخص يحب من الناس أن يكونوا راضين عنه ، تقيهم وعاصيهم ، وهذا الذي يطلب هذا المطلب معناه أنه سيسكت عن كثير من الحق ، فهو يريد صاحب الحق أن يرضى عنه ، فيأتيه بالوجه الذي يحبه وهو الحق ، ويريد من صاحب الباطل أن يرضى عنه ، فيأتيه بالوجه الذي يحبه وهو الباطل .

وأذكر مقالة لسفيان الثوري رحمه الله تعالى لَمَّا قيل له إن فلاناً من الناس يُثني عليه الناس كلهم – أي كل الذين يعرفونه يثنون عليه – فقال سفيان "ذلك رجل سوء !" ، لأنه مادام أنه يثني عليه كل الناس من أهل الحق وأهل الفسق فمعناه أنه يعطي كل واحد ما يحب ، لأن صاحب الحق لابد له من أعداء، ولابد له من خصوم ، وهذا الرجل مهما كان تقياً فلن يصل إلى درجة لم يَصِل إليها النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعض الناس إذا جلس في مجلس أو في منتدى وسمع من أشخاص يطعنون في صاحب حق أخذ فكرة أن هذا الرجل ليس على حق مادام أن الناس يتكلمون فيه ، وهذه قاعدة غير صحيحة ، فقد يكون كلام الناس فيه دليلاً على أنه على حق ، ودليلاً على أنه صاحب حق ، لأنه مادام أنه يتكلم بالحق فلابد أن يتكلم الناس فيه وأن يطعن الناس فيه .

وفي قوله تعالى "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" : قَرَنَ الله تعالى بين المواصاة بالحق والمواصاة بالصبر لأن الاستمرار على الحق لا يكون إلا بالصبر .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٨٢ ، "باب بيان الدين النصيحة" ، عن تميم الداري رضي الله عنه .

قال الشافعي رحمه الله تعالى "لو ما أنزل الله حُجَّةً على خلقه إلا هذه السورة لكَفَتْهُم" [١] .

---

[١] قال الشيخ رحمه الله "قال الشافعي رحمه الله تعالى "لو ما أنزل الله حُجَّةً على خلقه إلا هذه السورة لكَفَتْهُم" : أي سورة العصر ، قال الشيخ الفوزان ((معنى قول الشافعي لو أن الله جل وعلا ما أرسل للبشرية طريقاً منهاجاً إلا هذه السورة القصيرة ذات الثلاث آيات لكانت كافية ، لأن هذه السورة رسمت المنهج الذي شرعه الله تعالى طريقاً للنجاة ، وهو الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فهذه الأمور الأربعة هي التي تحصل بها النجاة ، فلو أن الله تعالى ما أنزل إلا هذه السورة لكان َمن أراد الله تعالى هدايته يعرف أنه لا نجاة له إلا بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وهذا من الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؛ آية واحدة تبين وظيفة الأمة الإسلامية ووظيفة كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية ، وهي التواصي بالحق والتواصي بالصبر بعد الإيمان والعمل الصالح ، فما أعظمها من سورة ، ولهذا فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما نقل كلام الشافعي قال "هو كما قال" ، يعني ما قاله الإمام الشافعي هو في محله ، فإن الله جل وعلا أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق وموصياً بالصبر)) انتهى[١] .

---

(١) انظر "حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، صفحة ٢٥ ، للشيخ عبدالله بن صالح الفوزان" .

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في ختام تفسيره لسورة العصر ((فبالأمرَين الأوَّلين يُكمِّل الإنسان نفسه ، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره ، وبتكميل الأمور الأربعة يكون الإنسان قد سَلِم من الخَسَار وفاز بالربح العظيم)) انتهى .

وقال البخاري رحمه الله "باب العلم قبل القول والعمل" ، والدليل قوله تعالى [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[١] .

---

[١] قوله "وقال البخاري رحمه الله "باب العلم قبل القول والعمل"، والدليل قوله تعالى [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل" : هذا قاله البخاري في صحيحه في كتاب العلم ، وهذه الآية التي استدل بها الإمام البخاري رحمه الله على الباب الذي ذكره في كتاب العلم تُبَيِّنُ فضلَ العلم ، وأن العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً إلا بالعلم .

وقوله تعالى "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" : العلم هنا هو العلم بوحدانية الله عز وجل ، وهو دليل على أن أول واجب على المكلفين هو توحيد الله عز وجل ، ودليل على أن جميع الأعمال لا تقبل إلا بالتوحيد ، فمن كان مشركاً فلا يُقبل منه قول ولا عمل ، يقول الله سبحانه وتعالى [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] .

وقوله "فبدأ بالعلم قبل القول والعمل" : فالعلم مقدَّم على القول والعمل ، فلا قول وعمل إلا بعلم، كما قال تعالى [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] فالشاهد أن الله سبحانه وتعالى أمرَ بالعلم أولاً ثم بالاستغفار ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، فإن العلمَ شرطٌ من شروط تحقيق "شهادة أن لا إله إلا الله" .

وهذا الدليل [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] هو دليل أيضاً على فضل الاستغفار والتوبة ، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم [إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا] ، والاستغفار من النبي صلى رِفْعَةٌ لدرجاته صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فهو رِفعة في درجاته صلى الله عليه وسلم .

والاستغفار عبادة لا تكون فقط مع الذنب ، بل تكون في سائر الأوقات ، بل تكون حتى بعد العبادات والفرائض ، فهناك مواطن أُمِرْنا فيه بالاستغفار بعد العبادات والفرائض ؛ فمنها :

أولاً : بعد الصلاة ، فمن السنة أن يستغفر العبد ثلاثاً .

ثانياً : بعد فريضة الحج ، قال سبحانه وتعالى [ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ] .

ثالثاً : أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر بعد الفتح الأكبر والجهاد الأعظم ، بعد فتح مكة ، قال تعالى [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا] .

.....

إذاً فالاستغفار عبادة عظيمة جليلة ينبغي للمسلم أن يفعلها في كل وقت وفي كل حين ، ولا ينبغي أن يَقْرِنَها فقط بالذنب ، فإنه إذا أذنب لزمه الاستغفار لمغفرة الذنب ، بل في سائر الأوقات ، حتى بعد العبادات .

اعلم رحمك الله[١] أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّمُ ثلاثِ هذه المسائل والعمل بهن[٢] :
الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ، ولم يتركنا هَمَلاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، فمن أطاعه دخل الجنةَ ، ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً][٣] .

---

[١] قوله "اعلم رحمك الله" : تقدم معنا التعليق على هذه العبارة من الشيخ رحمه الله ، وأن هذا أسلوب بديع في الدعوة إلى الله تعالى وفي تعليم الناس ، وهو الدعاء للمتعلم بالرحمة من باب الشفقة عليه والرحمة به ، ومن باب الترغيب له في طلب العلم ، وهذا هو الوصف الذي وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في الرحمة والشفقة على الناس ، قال تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] .
وعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتخلَّق بهذا الخُلُق ، خلق الرحمة والشفقة والعطف على الناس ، وأن لا يكون فظاً غليظاً شديداً .

[٢] قوله "أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّمُ ثلاثِ هذه المسائل والعمل بهن" : تقدم معنا أن مِن تعلم العلم ما هو واجب على كل مسلم ومسلمة تعلمه ، ولا يعذر أحد بجهله ، ولا يسع أحداً جهله ، ومنه هذا العلم – علم العقيدة والتوحيد – الذي ضمَّنه المؤلف رحمه الله تعالى كتابه هذا ، ومع العلم العمل ، فيتعلم ويعمل بما تعلم .

[٣] قوله "الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا ، ولم يتركنا هَمَلاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، فمن أطاعه دخل الجنةَ ، ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً]" : المسألة الأولى هذه أتى فيها الشيخ رحمه الله بما يدل على توحيد الربوبية من الخلق والرزق ؛ ومعلوم عند الناس جميعاً إلا من شذ عن الفطرة أن الله عز وجل هو الخالق الرازق ، قال تعالى [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] وقال [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] .
وقوله "أن الله خلقنا ورزقنا" : فالله عز وجل خلقنا ورزقنا ، وهذا تفضُّلٌ من الله عز وجل عام على جميع الخلق ، فليس خاصاً بالمؤمنين ، فخلقَ جميع الخلق ورزقهم سبحانه وهداهم هداية عامة لتحصيل أرزاقهم ، كما قال جل وعلا في الهداية العامة [الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] وقال جل وعلا [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى] .

.....

وقد دل على أن الله تعالى هو الخالق النقل والعقل :

أولاً : النقل ؛ فقد ورد في الآيات الكثيرة في كتاب الله تعالى التي تبين أن الله عز وجل هو الخالق لهذا الكون ، ولا شريك معه في الخلق ، قال تعالى [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] وقال [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] .

ثانياً : الأدلة العقلية ؛ وهي كثيرة ، ومنها دليلٌ عقليٌّ تحدى الله تعالى به المشركين في كتابه الكريم في سورة الطور ، في قوله عز وجل [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ][(١)] ، فإذا تدبر الإنسان هذا الدليل إما أن يكون خُلق بدون خالق ؟! وإما أن يكون خلق نفسه وأوجد نفسه ؟! وإما أن يكون له موجد وخالق ؟!

فكونه وُجد بدون خالق هذا مستحيل ، فكل شي مصنوع لابد له من صانع ، فمستحيل أن تجد بيتاً أو قصراً وتقول وُجِدَ بدون صانع أو بانٍ له ، أو أن تجد مركبة فتقول وُجدت هذه المركبة بدون أن يصنعها أحد .

ومن المستحيل أيضاً أن يكون المخلوق هو الذي خلق نفسه وأوجد نفسه ، فلا يعقل هذا في الأذهان ولا يصح .

فلابد له من خالق وموجِد ، ولا يقدر على هذا إلا الخالق ، وهو الله سبحانه وتعالى ، ولا يستطيع أهل الشرك والكفر أن يجيبوا على هذا ، بل لما سمع هذه الآية جبير بن مطعم حين دخل الحرم وسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ] قال "كاد قلبي أن يطير"[(٢)] ، لأنه عَرَبِي ، وقد فَهِمَ المرادَ من هذه الآية .

وأغلب الخلق يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق وإن كان أشركوا في عبادته معه غيره ، لكن هناك مَن شذ وانتكس حتى عن هذا الأمر المعروف للخلق ، وهم أصناف من الناس :

الصنف الأول : فرقة الدهرية ؛ الذين ينسبون الخلق إلى الدهر ، قال الله تعالى عنهم [وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ] ، وهم ملاحدة خارجون عن الفطرة وعن التوحيد .

الصنف الثاني : الطبَعِيُّون ؛ الذين ينسبون هذا الكون إلى الطبيعة ، وهم أيضاً من الملاحدة الكفرة .

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية "هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية ، أي أُوجِدوا من غير موجد ؟! أم هم أوجَدوا أنفسهم ؟! أي لا هذا ولا هذا ، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٤٤٧٦ ، "كتاب تفسير القرآن" ، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه .

.....

أما الذين بُعِثَ إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا يقرون أن الله هو الخالق ، ولكنهه أشركوا في توحيد الألوهية ، وقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بذلك ، كما قال صلى الله عليه وسلم [أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فَعَلوا ذلك عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله][1].

وقوله "خلقنا ورزقنا" : الرزق هو ما يسوقه الله سبحانه وتعالى لعباده ، والفقر إلى الإيجاد والخلق والرزق فقرٌ عام ، فكل الناس فقراء إلى هذا الأمر ، والفقر إلى هذا يسميه العلماء فقر اضطراري ، يعني لا حيلة لهم فيه ، فهم فقراء إلى الخلق وفقراء إلى الإيجاد وفقراء إلى الرزق .

والرزق هدى الله تعالى إليه جميع الخلق ، فهداهم هداية عامة كيف يحافظون على بقاء عنصرهم بالتزاوج ، وكيف يجلبون أرزاقهم ، فقد هدى الله تعالى إليه الإنس والجن والطير والحيوان ، قال تعالى [الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] ، وهذا النوع من الهداية هداية عامة يشترك فيها جميع الخلق ، فهدى الطير كيف يجلب رزقه ، وهدى أصناف الحيوانات، وهدى جنس الإنسان والجان ، فكلهم هداهم إلى هذا .

وهذه نعمة من نعم الله عز وجل ، ولكن اختلف الناس في مواقفهم من هذه النعمة ، فمنهم من جحدها وأنكرها وكفر بالله عز وجل ، ومنهم من أدى شكر هذه النعمة – نعمة الهداية – ووحد الله عز وجل وعبدَه وحده لا شريك له .

وقوله "ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً" : أي كما خلقنا ورزقنا تفضَّل علينا بعد ذلك بنعمة أعظم ، وهي إرسال الرسل إلينا لهدايتنا إلى الصراط المستقيم ، قال تعالى [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ] لأن المآب والمرجع إليه تعالى ، وحتى نستعد لذلك المآب ولذلك المرجع بين يديه سبحانه أرسل إلينا الرسل .

* وقد أرسل الله الرسل إلى العالمين من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأمور :

أولها : إقامة الحجة علي العباد ؛ فالمشركون لَمَّا احتجوا بالقدر على شركهم ردَّ الله تعالى عليهم بأنه قد بعث إليهم رسلاً ، فبعد أن ذكر الله حجتهم في سورة النحل قال بعدها [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] وقال [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٤ ، "باب [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٣ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ؛ كلاهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

.....

ثانيها : تذكير الناس بالعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم ؛ وهو الذي ذكره الله تعالى في سورة الأعراف ، قال تعالى [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] .

ثالثها : إحياء الفطر السليمة التي فطر الله تعالى عليها الخلق ؛كما قال صلى الله عليه وسلم [ما من مولودٌ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجِّسانه][1] والمقصود يولد على فطرة الإسلام ، فالرسل يدعون الناس إلى ما فُطروا عليه من التوحيد والإسلام .

وهنا مسألة : هناك أقوال لأهل العلم في التفريق بين الرسول والنبي :

القول الأول : منهم من قال هما بمعنى واحد لا فرق بينهما ، وهذا غير صحيح بل هناك فرق .

القول الثاني : منهم من قال "الرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه ، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه" ؛ ولكن يُعترض على هذا التفريق بأن النبي إذا حُمِّل الوحي ولم يؤمر بالتبليغ فما الحكمة من كونه أوحي إليه ؟! لأن من حُمِّل علماً من عامة الناس – فضلاً عن الأنبياء – فهو مأمور بتبليغه ، فلو أن شخصاً رزقه الله علماً ولم يبلغه فإنه لا يُحمد ، بل يُذم ، فكيف بنبيٍّ يصطفيه الله ويوحي إليه ثم لا يؤمر بالتبليغ ؟! وهذا اعتراض قوي على هذا التفريق ، فالنبي مادام أوحي إليه فهو مأمور بالتبليغ .

القول الثالث : فرَّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بين الرسول والنبي بتفريق جيد في كتابه النبوات ، وملخص هذا التفريق "أن الرسول من أوحي إليه بشريعة تختلف عن شريعة مَن سبقه ، كما قال الله تعالى [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا] ، وأُمر بتبليغها إلى قوم فيهم كفار ، ويحصل له أذى في التبليغ ؛ والنبي هو من أوحي إليه بشريعة من سبقه ، وأمر بتبليغها إلى قوم قد يكون فيهم كفار وقد يكون كلهم مؤمنون ، فيذكِّرهم ويجدِّد لهم ما اندرس من شريعة الرسول الذي قبله" ، هذا مجمل ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في التفريق بين الرسول والنبي في كتاب "النبوات" .

وقول الشيخ "بل أرسل إلينا رسولاً" : مقصود الشيخ هنا نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٢٧٠ ، "باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه ؟ وهل يُعرَض على الصبي الإسلام ؟" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٠٣ ، "باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين" ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

.....

وقوله "فمن أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار" : فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ، وقد قرنَ الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته جل وعلا ، قال عز وجل [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] وقال [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] وقال صلى الله عليه وسلم [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟! قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى][(١)] ، فكل هذه الأدلة وغيرها ندل على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطاعته صلى الله عليه وسلم طاعة مُطلقة ، لأن ما يذكره ويأمر به الناسَ فهو وحي أوحاه الله تعالى إليه .

والله سبحانه وتعالى يقول [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] ؛ وللإمام ابن القيم رحمه الله تعليق بديع وجيِّد على هذه الآية ، حيث ذكر رحمه الله في كتابه مدارج السالكين أن هذه الآية هي الأنيس للمطيع لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم في زمن الغربة وفي زمن الوحشة ، ففي الزمن الذي يكثر فيه المنحرفون والمبتعدون عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من السلف الصالح رحمهم الله يستأنس المسلم بهذا الآية ، فإنه إن لم يجد في الدنيا صحبة ورفقة على الحق الذي هو عليه فليتذكر الرُّفقة والصُّحبة في الدار الآخرة ، فإذا تذكرها كان ذلك تسلية وأنيساً له ، فالرفقة والصحبة في الدار الآخرة رفقة وصحبة عظيمة ، قال تعالى [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] ، وتذكُّره لتلك الرفقة تثبيت له على الحق الذي هو عليه[(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٧٣٧ ، "باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله ((ولَمَّا كان طالب الصراط المستقيم طالبَ أمرٍ أكثرُ الناس ناكبون عنه ، مريداً لسلوك طريقٍ مرافقه فيها في غاية القلة والعزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد ، وعلى الأُنس بالرفيق ، نبَّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق ، وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فأضاف الصراطَ إلى الرفيق السالكين له ، وهم الذين أنعم الله عليهم ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشةَ تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه ، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم ، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ، فإنهم هم الأقلون قَدْراً ، وإن كانوا الأكثرين عدداً ، كما قال بعض السلف "عليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ، ولا تغتر بكثرة الهالكين" ، وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم ، وغُضَّ الطرفَ عمن سواهم ، فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك)) انتهى . انظر "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المجلد الأول ، صفحة ٤٦" .

.....

وقوله "والدليل قوله تعالى [إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا]" : استدل الشيخ رحمه الله بهذه الآية على أن النبي صلى الله عليه وسلم شاهدٌ على هذه الأمة ، كما قال جل وعلا [وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] ، وشهادته صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة كشهادة الرسل عليهم الصلاة والسلام على أممهم وعلى أقوامهم .

وقوله تعالى "كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا" : هو موسى عليه الصلاة والسلام ، وتجد في القرآن كثيراً ما يذكر الله عز وجل قصة موسى عليه السلام مع ما يذكره عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد تكررت قصة موسى عليه السلام في كثير من القرآن ، وكل قصص الأنبياء هي تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن قصة موسى أُكثر من ذكرها أكثر من غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لحكمة ، وهي أن هناك تشابهاً بين ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم وما حصل لموسى عليه الصلاة والسلام من فرعون وقومه من أذى .

وموسى عليه السلام رحيمٌ بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلمَّا فَرَضَ الله خمسين صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج قال له موسى عليه السلام "ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تُطيق ذلك" .

وقوله تعالى "فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا" : هذا من باب التذكير لهذه الأمة ، فإنهم إذا عصوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم حصل لهم ما حصل لفرعون وقومه من الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة ، والله عز وجل قال [النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ] .

الثانية : أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ ، والدليل قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا][١] .

---

[١] قوله "الثانية : أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ، والدليل قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا]" : تكلم الشيخ رحمه الله في هذه المسألة عن توحيد العبادة ، وهو توحيد الألوهية ، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد .

وقد خلق الله عز وجل العبادَ لعبادته وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه وتعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] .

وأوجب سبحانه وتعالى على عباده أن يخلصوا العبادة له وحده لا شريك له ، وحرَّم الشرك الذي هو أعظم الظلم ، وتوعّد من فعله بالوعيد الشديد ، فقال عز وجل [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] وهذا وعيدٌ شديد للمشركين ، فمن مات على الشرك من غير توبة فعقوبته الخلود في النار ، وتوعَّد اللهُ من أشرك بعدم المغفرة [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا] .

وهذا الوعيد هو في الشرك الأكبر ، وقد وصف الله عز وجل هذا النوع من الشرك بأنه ظلم عظيم وظلم أكبر ، كما في قوله عز وجل [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] وقوله [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] فكل هذا في عقوبة الشرك الذي هو أكبر الذنوب وأعظمها ، وذلك لأن الشرك فيه تنقُّصٌ لله عز وجل ، فالمشرك يجعل لله مِثْلاً ونداً شريكاً بجعله وسائط وشفعاء بينه وبين الله تعالى ، فكأنه يعتقد أن الله تعالى وحده لا يقدر على قضاء حوائجه وتفريج كربه ، فيجعل هذه الوسائط والأنداد ؛ والله سبحانه وتعالى منزه عن هذا [فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ] .

فأعظم شيء أمر الله به هو التوحيد ، وأعظم ما نهى الله عنه هو الشرك ، ولا يرضى الله أن يُشرك معه أحدٌ في طاعته وعبادته ، ولذا قال الله جل وعلا [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] وقال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] وقال عن الأنبياء عليهم السلام [وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] وقال جل وعلا [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ] وهذا للنبي صلى الله عليه وسلم .

.....

والنبي عليه الصلاة والسلام قال [إنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبدُ الله ورسوله][1] ، والله عز وجل وصفَ نبيَّه صلى الله عليه وسلم بأنه عبدٌ لله في أشرف المقامات وأجلِّها ، فقال تعالى في مقام الإسراء [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] وقال تعالى في مقام التنزيل [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ] وقال [فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ] ، وقال تعالى في مقام الدعوة [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ] .

وقوله "لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ" : لماذا خص الشيخ رحمه الله بالذكر المَلَكَ والنبي ؟

والجواب : ليبين للناس أن من أشركتم به مع الله فمهما كانت منزلته عند الله فلا يرضى الله أن تشرك معه أحداً ، حتى لو كان مَلَكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً .

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى حال المعبودات من دونه جل وعلا ، كما في آخر سورة الأنبياء ، فقال سبحانه [إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] فبيَّن سبحانه أن الذين عَبَدَهم المشركون ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : قسم رضي بذلك ، فهذا مصيره كمصير المشركين في النار .

القسم الثاني : قسم لم يرضَ بذلك ، وهؤلاء لا يصيبهم ما يصيب أهل الشرك ، لأنهم قد سبقت لهم الحسنى من الله عز وجل .

وقوله "والدليل قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا]" : استدل الشيخ بقوله عز وجل [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] فالمساجد هي الأماكن التي تقام فيها العبادات ؛ فتقام فيها الصلوات الخمس والجُمَع والجماعات ، ويُدرَّس فيه العلم ، ويُذكر فيها الله سبحانه ، فهذه المساجد لله وحده سبحانه وتعالى ، وأضافها الله لنفسه إضافة تشريف وتكريم لها .

---

(١) الحديث أخرجه بنحوه أحمد في المسند برقم ١٥٩ ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وصححه الألباني .

الثالثة : أن من أطاع الرسولَ ووحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ، ولو كان أقربَ قريب ، والدليل قوله تعالى [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ][١] .

---

[٢] قوله "الثالثة : أن من أطاع الرسولَ ووحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ، ولو كان أقربَ قريب ، والدليل قوله تعالى [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]" : يقرر الشيخ رحمه الله في هذه المسألة عقيدة الولاء والبراء ، عقيدة الحب في الله والبغض في الله ، وهي عقيدة مهمة ، وقد ذكرها الله جل وعلا في كثير من آيات القرآن ، وأكثرَ الله عز وجل من ذكرها في سورة المائدة ، كما في قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ] ، وكالآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله ، قال الله تعالى [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] ، وكقوله صلى الله عليه وسلم [من أعطى لله وَمَنَعَ لله وأحب في الله وأبغض في الله وعادى في الله فقد استكمل عرى الإيمان][١] .

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم الأصناف التي يجب على المؤمن أن يواليها ، فقال تعالى [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] فهؤلاء هم أولياء المؤمنين .

وبيّن الله تعالى الأصناف التي يتبرأ منها المؤمن ولا يواليها ، فقال عز وجل [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن برقم ٤٠٦١ ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، وصححه الألباني في تحقيقه لسنن أبي داود .

.....

* وهذه العقيدة هي من صميم الاعتقاد ، ولا يجد المسلم لذَّة الإيمان وحلاوته إلا إذا حقق هذه العقيدة في قوله وفي فعله ، وهي عقيدة الولاء والبراء ، والحب في الله والبغض في الله ، ولذا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار][1] فإذا تدبَّرت هذه الثلاث ستجدها كلها في عقيدة الولاء والبراء :

الأولى : "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" ؛ فيحقق المحبة الكاملة لله ولرسوله بطاعة الله سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقديم ما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما تحبه نفسه وتشتهيه ويهواه قلبه وما يشتهيه الناس .

الثانية : "أن يحب المرء لا يحبه إلا لله" ؛ وهذه عقيدة الولاء ، فيحب الرجل لإيمانه ولولائه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأهل الإسلام .

الثالثة : "أن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار" ؛ وهذه عقيدة البراء ، وهي البراءة من الكفر وأهله ، فكما يكره أن يقذف ويحترق في النار فكذلك يكره الكفر وأهله ، لأنهم أعداء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأهل الإيمان .

* وعقيدة الولاء والبراء مهمة جداً ، ومهمٌّ أيضاً أن يفقَهَ المسلمُ مسائل مهمة فيها حتى لا يقع في الغلو فيقع في تكفير المسلمين بغير حق ، ولا يقع أيضاً في التفريط فيخسر هذه العقيدة ، وسأذكر باختصار أقسام الناس في الولاء والبراء ، وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل قسم ، وما حصل من انحراف في كل قسم عند أهل البدع ؛ فحبُّك وولاؤك ونُصرتك للناس أو بغضُك وبراؤك وعَداؤك للناس تقسِّم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام :

<u>القسم الأول :</u> من يجب أن يوالَى من كل وجه ؛ فيُحَب من كل وجه ، وتحرم معاداتهم أو بغضهم ، وهؤلاء هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا] ، فعقيدة أهل الحق في هذا محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم والترحُّم عليهم والسَّير على طريقهم ونهجهم ، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم في الحديث القدسي "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب" .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٥ ، "باب حلاوة الإيمان" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٦٠ ، "باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

.....

وقد انحرف في موالاة هذا الصنف طائفتان :

الطائفة الأولى : الروافض ؛ وهم الذين عادَوا الصحابة رضي الله عنهم ، الذين هم الصديقون والشهداء والصالحون ، فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فنصبَت الرافضة لهم العَداء ، فعليهم من الله ما يستحقون .

الطائفة الثانية : الخوارج ؛ فقد نصبوا العَداء للصديقين والشهداء والصالحين ، فاستحلوا دماء الأخيار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقتلوا عثمان رضي الله عنه الذي بشَّره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة في عدة مواطن ، وقتلوا علياً رضي الله عنه الذي بشَّره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة في عدة مواطن[١] .

القسم الثاني : من يُبغَض ولا يُحب ولا يوالَى ؛ وهم أهل الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الأكبر والظلم الأكبر والفسق الأكبر ، فهذه خمسة مصطلحات ، وكل مصطلح منها ينقسم إلى أصغر وأكبر ، فالأصغر منها لا يُخرِج من الملة ، والأكبر يخرِج من الملة[٢] ، وأصحاب هذا الصنف هم أصحاب الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الأكبر والظلم الأكبر والفسق الأكبر ، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] .

وقد غلط في هذا الصنف و لم يفهم قضية البراء من هذا الصنف طائفتان :

الطائفة الأولى : طائفة ضلَّت لعدم تفريقها بين الموالاة المكفِّرة والموالاة غير المكفِّرة ، فوقعتْ في البراء ممن ليسوا من هذا الصنف ، فغلطت في حق المسلمين ، فحمَلَت كل نوع من أنواع الموالاة للكفار على الكفر الأكبر ، فمن رأتْ أنه قد ظهر منه نوع من أنواع الموالاة حَكَمَت عليه بالكفر ، فوقعت في تكفير المسلمين بغير حق ، فوقعوا في الغلو الذي نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه .

---

(١) ولشيخنا الشارح حفظه الله تعريفٌ بكلٍّ من فرقتي الرافضة والخوارج في شرحه على العقيدة الطحاوية ، وقد أودعتُه في رسالته الموسومة (مسائل عقدية في حقوق الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين) ، تحت مبحث مستقلٍّ أسميته "مبحث في التعريف بفرقة الإمامية الرافضة وفرقة الخوارج النواصب" ؛ فليُراجع .

(٢) لمن أراد بسط الفروق بين هذه المصطلحات الخمسة فليُراجع كتاب "الشروق على الفروق بين الكفر والشرك والنفاق والظلم والفسوق" ، لشيخنا زيد المدخلي .

.....

فإن الموالاة لأهل الكفر التي توقِع بصاحبها في الكفر "هي موالاتهم لأجل دينهم وعقيدتهم ، ونُصرتهم لأجل دينهم وعقيدتهم على دين الإسلام وأهله" ، فهذه هي الموالاة المخرجة من الملة ، أما ما دون ذلك فلا يُخرج من الملة ، وذلك لعدد من الأدلة :

أولها : أن الله عز وجل يقول [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] .

ثانيها : يقول جل وعلا في حق الوالِدَين الكافِرَين [وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا] .

ثالثها : أن الله جل وعلا قد أباح للمؤمن أن يتزوَّج الكتابيَّة ، فقال تعالى [وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] والزواج يقتضي حُسن العِشرة والمحبة ، لكن لا تكون لأجل الدين ، ولذا فلمَّا أباح الله عز وجل الزواج من الكتابية قال عز وجل في ختام الآية [وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] يعني أنه أباح محبتها لغير دينها وعقيدتها .

رابعها : أباح الله عز وجل التعامل مع الكفار في البيع والشراء ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودِرعه مرهونة عند يهودي .

فلابد أن يُفهم هذا لدى طلاب العلم جيداً ، حتى لا يقع المسلم في المَزْلَق الذي وقع فيه مَن وقع في تكفير المسلمين بغير حق .

الطائفة الثانية : طائفة اغترَّت بزُخرف الحياة الدنيا الذي عند الكفار ، فأرادت هذه الطائفة القضاء على عقيدة الولاء والبراء والحب في الله والبُغض في الله ، فقالت لا فرقَ بين المسلم والكافر ، بل وصلَ ببعضهم أن فضَّل الكفار على أهل الإسلام ، نظراً لِمَا بُهر به من زخرف الحياة الدنيا التي عندهم ، وكأنه لم يقرأ قول الله عز وجل [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] .

فمهما وُجد عند المسلم من قصورٍ أو تفريط أو جهل فهو أفضل من الكافر الذي لا يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يُفضَّل الكافر على المسلم .

والمقولة التي تجري على ألسنة بعض الناس "في بلاد المسلمين مسلمون بلا إسلام ، وفي بلاد الكفر إسلام بلا مسلمين" ، فهذا خطأ ، بل هذه العبارة فيها تكفير للمسلمين ، فإن فيها حكماً على المسلمين بأنهم خرجوا من الإسلام ، فحَكَمَ على المسلمين بأنهم كفَّار ، فالمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإنْ كذبَ أو أخلف الوعد وإن حصل منه وحصل فإنه لا يُجعل ذلك الكافر خيراً منه ، بل هو خير لأنه مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

.....

وتجد بعضَ الناس إذا أراد دعوة الناس إلى المُثُل والأخلاق يضرب الأمثلة بالكفار ! فلماذا لا يأتي بأمثلة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن حياة الصحابة ، فيكون المسلم عندما يصدُقُ في الوعد والحديث وعندما يُتقِن عملَه يجعل هذا ديناً يدين الله عز وجل ويتقرب به لله عز وجل لأنه متَّبعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم .

فهاتان الطائفتان انحرفت في هذا ؛ فطائفة ذهبت إلى الغلو ، وطائفة نَحَت منحى الجفاء والتفريط ، فالأولى غَلَت والثانية جفَت وفرَّطت وقصَّرت .

القسم الثالث : من يُحبُّ من وجه ويُبغض من وجه ؛ فيُحب على قدْر ما فيه من إيمان وطاعة ، ويُبغض على قدر ما فيه من معصية ، وهؤلاء هم عصاة الموحِّدين من أهل القِبلة ، وأهل القبلة هم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم [من صلى صلاتنا وستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا] .

فعصاة الموحدين من أهل القبلة لهم حقُّ الولاء والحب لما فيهم من إيمان وطاعة ، ويُبغض على قدْر ما فيه من معصية ، وهؤلاء قال الله عز وجل فيهم [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ][1] فأولُ صنفٍ ذكره الله عز وجل هو الظالم لنفسه ، فهو موحِّد لكنه ظلمَ نفسه بارتكابه لبعض المعاصي والذنوب ، ولكن الله عز وجل أخبر أنه اصطفاه بالتوحيد وأورثه الكتاب ، وفي هؤلاء أيضاً يقول النبي صلى الله عليه وسلم [من كان له عند أخيه مظلَمة فليتحلله اليوم][2] فجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم الظالِمَ أخاً للمظلوم ، مع أنه قد ظلمه في ماله أو دمه أو عِرضه ، فذلك الظلم الذي قد حصل منه لا يُخرجه عن كونه أخاً له في الإسلام وفي الإيمان .

وهذا الصنف قد انحرف في موالاته طائفتان :

الطائف الأولى : الخوارج ؛ فغلتْ في موالاة هذا الصنف ، فوقعت في تكفير المسلمين بارتكاب الكبائر ، فجعلوا هؤلاء خارجين من ملة الإسلام ، فضلُّوا .

الطائف الثانية : المرجئة ؛ فجعلوا هذا الصنف مؤمناً كامل الإيمان ، فقالوا لا يضر مع الإيمان معصية، فمادام أنه مؤمن فلا يضره ما ارتكبه من العصيان ولا يؤثِّر على إيمانه ، فهو كامل الإيمان ، ولكن عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري بنحوه في الصحيح برقم ٣٧٨ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٢٦٩ ، "باب من كانت له مظلمة عند الرجل" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

.....

وقوله "أن من أطاع الرسولَ ووحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ، ولو كان أقربَ قريب" : طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مقرونة بطاعة الله ، ولا يكون العبد مطيعاً لله تعالى إلا إذا أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الله تعالى هذا في أكثر من آية في كتابه ، قال تعالى [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] وقال [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] وقال [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] وقال [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى][(١)] .

فمن ادعى التوحيد ولكنه لم يتابع النبي صلى الله عليه وسلم فهذا عاصٍ لله تعالى ، وليس مطيعاً لله عز وجل ، لأن الله تعالى قَرَنَ طاعةَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم بطاعته سبحانه ، وأمرَ العبادَ باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] ، وقال [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] ولهذا فكل سنة سنها النبي صلى الله عليه وسلم قولية أو فعلية أو تقريرية فهي من كتاب الله تعالى ، لأن الله عز وجل قال [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] ، وكل عبادة لا تُقبل إلا باتباع النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قال صلى الله عليه وسلم [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد][(٢)] .

وقوله "والدليل قوله تعالى [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]" : استدل الشيخ بهذه الآية على عقيدة الولاء والبراء ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ((فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضِّدَّين الآخرَ ، فإذا وُجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب))[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٧٣٧ ، "باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٢٤٣ ، "باب نقض الأحكام الباطلة ورد مُحدثات الأمور" ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) انظر "كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، المجلد الثاني ، صفحة ٨٣" .

.....

فلا يجوز للمؤمن أن يكون في قلبه موادة لمن حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، كما قال الشيخ رحمه الله "أن من أطاع الرسولَ ووحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله ، ولو كان أقربَ قريب" ، فيتبرأ المسلم من الكافر ولو كان قريباً منه في النسب .

* وقد بين الله سبحانه في نهاية هذه الآية التي استدل بها المؤلف الثواب العظيم الذي يعطاه من اعتقد عقيدة الولاء والبراء :

أولاً : "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ" ؛ وهذا مما يدل على أن كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم متفقة مؤتلفة ، ويؤيد بعضها بعضاً ، ففي الحديث أخبر بحلاوة الإيمان لمن حقق عقيدة والولاء والبراء [وجد بهن حلاوة الإيمان] والله سبحانه قال هنا [أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ] .

ثانياً : وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ" ؛ أي أيَّدهم بتوفيق وبنور منه ، وبهدى وإحسان رباني .

ثالثاً : "وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا" ؛ وهذا مع زينة الدنيا والراحة وتأييد من الله تعالى وتوفيق ونصر له في الدنيا .

رابعاً : "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ" ؛ لأنه ترك الناس الذين حادوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا قُرْبَةً لله فحقق الله له الرضا عنهم .

خامساً : "أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ؛ أي أن أهل الإيمان هؤلاء الذين أحبوا في الله وأبغضوا في الله هم حزب الله تعالى الذين كتب الله فهم الفلاح في الدنيا والآخرة .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين[١] .

---

[١] قوله "اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين" : هذا من الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير توحيد العبادة ، والأصل الذي تقوم عليه العبادة هو الإخلاص لله عز وجل ، قال تعالى [فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] والعمل الصالح هو الخالصُ لله تعالى الصوابُ على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقوله "الحنيفية" : الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام ، وهي ملة التوحيد التي بعث الله سبحانه وتعالى بها الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] .

وقوله "ملة إبراهيم" : الملة هي الدين الذي شرعه الله تعالى لعباده على ألسنة المرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وإبراهيم عليه السلام هو إمام الحُنفاء وأبو الأنبياء عليهم السلام ، وقد أوصى بنيه جميعاً بدين الإسلام ، ودعا الله أن يجعل ذريته مسلمين ، قال تعالى [رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا] وقال تعالى [وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] وقال [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ] .

وقوله "أن تعبد الله مخلصاً له الدين" : العبادة لا تقبل من العباد إلا بشرطين ؛ الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذان الشرطان انقسم الناس فيها إلى أقسام :

أولها : من وُفّق لمتابعة هذين الشرطين ؛ وهم أهل الإيمان ، فعبدوا الله تعالى بإخلاص وبمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء هم أصحاب الأعمال المقبولة عند الله عز وجل .

ثانيها : من حُرم من التوفيق لهذين الشرطين ؛ فليس لديه إخلاص لله ولا متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا عمله مردود عليه لا يقبله الله ، لأن الله عز وجل قال [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] والمتقي هو المخلص لله المتابع للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثها : من أخلص و لم يتابع ؛ فهذا عنده إخلاص ورغبة فيما عند الله لكن لم يوفَّق لمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك بسبب عدم تفقهه في الدين ، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم [من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين][1] ، وهذا عمله مردود .

رابعها : من تابع الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه لم يخلص لله تعالى ؛ وهذا أيضاً عمله مردود ولا يقبله الله .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٩ ، "باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٧٢١ ، "باب النهي عن المسألة" ؛ كلاهما عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

.....

* **مسألة** : الإخلاص له ثمرات عديدة ؛ نذكر منها :

أولاً : بتحقيق المسلم لتوحيد ربه وتوحيد الله عز وجل تكمل له الطاعة ، وإذا كملت الطاعة قُبلت عند الله عز وجل .

ثانياً : من أخلص لله تعالى في عبادته صُرِفَتْ عنه الذنوب والمعاصي بتوفيق الله له ، كما قال عز وحل [كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ] فصرف الله عنه السوء والفحشاء بسبب إخلاصه .

ثالثاً : من أخلص لله تعالى في عبادته فهو في حرز من الشيطان ، كما قال تعالى [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ] وقال [قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] فالمخلص ليس للشيطان عليه سبيل .

رابعاً : المخلص ينجو بفضل الله وتوفيقه من النار ، قال صلى الله عليه وسلم [إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله][1] .

---

(١) الحديث أخرجه بطوله البخاري في الصحيح برقم ٤٠٧ ، "باب المساجد في البيوت" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٠٥٢ ، "باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر" ؛ كلاهما عن عتبان بن مالك رضي الله عنه .

وبذلك أمرَ اللهُ جميعَ الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] ، ومعنى يعبدون يوحِّدون[١] .

---

[١] قوله "وبذلك أمرَ اللهُ جميعَ الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] ، ومعنى يعبدون يوحِّدون" : فجميع الخلق خلقهم الله لعبادته ، وقد دلت الأدلة على أن الله تعالى خلق جميع الخلق لعبادته ، وأن الله أرسل رسله بالتوحيد ، وأن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعوا على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ، قال سبحانه وتعالى [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] وقال تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] وقال [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] .

وقوله "ومعنى يعبدون يوحِّدون" : أي يُفردون اللهَ تعالى بالعبادة ؛ والعبادة لها معانٍ عند أهل العلم ، وبعضها يتفق مع بعض ويؤيد بعضها بعضاً :

أولاً : فعُرِّفت العبادة بأنها "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة" .

ثانياً : وعُرفت العبادة بأنها "كمال الذل مع كمال الحب" ، وإذا حقق العبد الخوف من الله والوجل منه وحقق كذلك الحب لله عز وجل أورثه ذلك الرجاء ، فإن العبد إذا تذلل إلى الله وخاف منه فمعنى ذلك أنه يرجوه ، وبهذا نعرف أركان العبادة الثلاثة :

١. الخوف .

٢. الرجاء .

٣. الحب .

وهذه الأركان الثلاثة انقسم الناس فيها إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : قسم عبدوا الله بالخوف وأهملوا الرجاء ؛ وهم الخوارج الذين وقعوا في الغلو ، وهم على خطأ ، لأن "الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطائر" كما يقول أهل العلم .

القسم الثاني : قسم عبدوا الله بالرجاء وعطلوا الخوف ؛ وهم المرجئة الذين أهملوا نصوص الوعيد وأخذوا نصوص الوعد ، فوقعوا في التقصير والتفريط والإهمال .

.....

القسم الثالث : قسم عبدوا الله بالحب فقط وعطَّلوا الخوف والرجاء ؛ وهم أهل التصوف الذين يقول بعضهم "ما نعبدك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك وإنما حباً لك" ، وهذا خطأ ، لأن الله عز وجل خوَّف عبادَه النارَ وأمرهم أن يخافوا مما خوفهم الله منه ، ورغّبهم في الجنة وأمرهم أن يطمعوا فيما رغَّبهم الله فيه ، وقد ردَّ عليهم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه "الاستقامة" .

القسم الرابع : قسم عبدوا الله تعالى بهذه الأركان الثلاثة – الخوف والرجاء والحب ، وهم أهل الصراط المستقيم الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم أهل السنة والجماعة[1] .

---

(١) هناك كلام نفيس للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في كتابه "معارج القبول ، المجلد الثاني ، صفحة ٤٣٧ – ٤٣٨" ، فيقول رحمه الله ((العبادة التي خلق الله لها الخلق وأخذ بها عليهم الميثاق ، أرسل بها رسله وأنزل كتبه ، ولأجلها خُلِقَت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وهي اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

فالظاهرة : كالتلفظ بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك .

والباطنة : كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه والاستعانة به والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه وغير ذلك .

ثم اعلم أنها لا تُقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب ، ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ، ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر ؛ ولذا قال مَنْ قال مِن السلف "مَن عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبدَه بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد" .

قلت : وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة ؛ ولذا ترى من يدَّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي ، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها ، وهذا شأن المشركين الذين قالوا [لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا] ، [وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ] وغير ذلك، وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال [رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي] ، وإنما المحبة نَفْسُ وِفاق العبد ربَّه ، فيحب ما يحبه ويرضاه ويبغض ما يكرهه ويأباه ، وإنما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع ، وإنما تحصل بمتابعة الشارع ؛ ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى "ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ]" ، فمن ادعى محبة الله و لم يَكُ متبعاً رسوله فهو كاذب ؛ وقال الشافعي رحمه الله تعالى "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم" .

وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي الله وأَمِنَ مكرَ الله ، وقد قال الله تعالى [فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ] .

وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمته ويئس من روحه ، وقد قال تعالى [إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ] وقال [وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ] .

فالأمن من مكر الله خسران ، واليأس من روحه كفران ، والقنوط من رحمة الله ضلال وطغيان ، وعبادة الله عز وجل بالحب والخوف والرجاء توحيدٌ وإيمان)) انتهى كلام الشيخ رحمة الله عليه .

.....

* ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "مدارج السالكين" أصناف الناس في فهم العبادة :

الصنف الأول : صنفٌ فَهِمَ العبادة على أنها شدائد ومصاعب ، فيحمِّل نفسه بالمصائب والشدائد ولا يريد اليسر والسهولة ، ويستدلون بحديث "أحب الأعمال إلى الله أحمزها"(١) يعني أشدها ، وهذا الحديث لا أصل له ، كما أن متنه يخالف الأدلة من الكتاب والسنة .

وهذا الصنف من الناس وقعوا في عدة أمور :

أولاً : فيه تكلف لم يكلفه الله عز وجل به .

ثانياً : أنه عابد لهواه ، لأنك تجد هذا الصنف نفوسهم تميل إلى المشاق والمصاعب ، ولا تميل للسهولة واليسر ، فيسلك الطريق الذي تهواه نفسه ويجعله عبادة لله ، وهو مخالف في منهجه وفي طريقه وفي سلوكه للثوابت والأصول الشرعية ، قال تعالى [يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] ويقول [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ] ويقول [يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا] ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول [إنما بُعثتم ميسِّرين](٢) وقال صلى الله عليه وسلم [بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا](٣) وجاء في الحديث [ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً](٤) ؛ فهذا هو نهج النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، ولذا فالقاعدة الفقهية أن "المشقة تجلب التيسير" .

ثالثاً : من الأصول التي يخالفونها أيضاً أن التشريع الإسلامي الذي شرعه الله للعباد لم يشرعه لأجل المشقة والحرج ، بل إن المشقة والكُلفة رفعها الله عن العباد ، قال تعالى [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] وقال [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] حسب الطاقة والوسع والاستطاعة .

ولذا فأنت تؤجر كلما أحسنت العمل ، والمشقة التي يجدها المؤمن أثناء بعض العبادات لم تُشرع تلك العبادات لأجل هذه المشقة ، فمثلاً الذي يستيقظ لصلاة الفجر لأول مرة سيجد مشقة ، لكن إنْ داومَ على ذلك ستذهب هذه المشقة ، بل سيصبح يجد السعادة في هذا .

---

(١) الحديث أورده السخاوي في المقاصد الحسنة وقال "قال المزي هو من غرائب الأحاديث ، ولم يُرْوَ في شيء من الكتب الستة" .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢١٣ ، "باب صب الماء على البول في المسجد" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٧ ، "باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوَّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٢٦٤ ، "باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٣٢٩٦ ، "باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٢٩٥ ، "باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام" ؛ كلاهما عن عائشة رضي الله عنها .

.....

الصنف الثاني : قسم فَهِمَ العبادةَ على أنها عُزلة وانفراد عن الناس ، فلا يخالط الناس ولا يجلس معهم ولا يفيدهم ولا يستفيد منهم ، بل يرى أنها عزلة وبُعد ، وهذا أيضاً عابد لهواه ، لأن نفسه قد تهوى هذا فتجعل هذا الطريق عبادة ، وهذا مخالف لِمَا كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخالط الناس ويشاركهم في أحزانهم وأفراحهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال [من رغب عن سنتي فليس مني][1] ؛ وأصحاب هذا الصنف قد يقعون في الغرور بأعمالهم بما يزينه له الشيطان .

الصنف الثالث : قسم رأى أن العبادة أنها هي النفع المتعدي للناس ، وهذا ضد القسم الثاني ، وهم على خطأ أيضاً .

الصنف الرابع : الذين يعبدون الله تعالى في كل ساعة بما يحبه سبحانه ، فيأخذون بسهم من كل أنواع الخير ، فأينما توجهت في أبواب الخير وجدته ، وهذا هو الذي يحبه الله ، وهو الذي يجب أن يكون عليه المسلم ، وهو القسم الذي يعبد الله حسب ما أَمَرَ به سبحانه وتعالى .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٤٦٧٥ ، "باب الترغيب في النكاح" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٤٨٧ ، "باب استحباب النكاح لمن تاقتْ نفسه إليه" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة[١] .

---

[١] قوله "وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة" : توحيد الله عز وجل هو أول واجب أوجبه الله على المكلفين ، وعِظَم التوحيد وقدره يتبين في عدة أمور :

الأمر الأول : أن الله سبحانه تعالى بعث بالتوحيد جميعَ الأنبياء والمرسلين ، فكلهم دَعَوا الناس إلى توحيد الله ، واتفقوا على هذا ، كما قال تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] ، وعندما تقرأ في القرآن قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام تجد أن الله عز وجل يذكر عن كل نبي أنه قال لقومه [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] .

الأمر الثاني : أن التوحيد من أجله خلق الله السماوات والأرض وما بينهما ، قال تعالى [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] فهذا الخلق كله خلقه الله تعالى [لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] وهذا هو توحيد لله عز وجل .

الأمر الثالث : من أجل التوحيد خلق الله سبحانه وتعالى الثقلين الإنس والجن ، قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] .

الأمر الرابع : بالتوحيد تُعْصَمُ الدماء والأموال والأعراض ؛ فالموحِّد معصوم الدم والمال والعِرض ، ولا يجوز الاعتداء عليها ، يقول صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله فقد عصم دمه وماله وعرضه وحسابه على الله][(١)] .

الأمر الخامس : من أجل التوحيد فرض الله سبحانه وتعالى الجهاد في سبيله ، فالجهاد في سبيل فُرِضَ لكي يوحَّدَ الله ويُعبد وحده لا شريك له ، يقول صلى الله عليه وسلم [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها][(٢)] .

الأمر السادس : لا تُقبل الأعمال عند الله تعالى إلا بالتوحيد ، فمن أقام الأعمال بدون توحيد فلا حظ له في القبول عند الله ، يقول الله تعالى [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٩ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٤ ، "باب [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٣ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ؛ كلاهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

.....

الأمر السابع : أول عبادة يُدعى إليها الناس هي التوحيد ؛ وهذا هو ما سار عليه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم ، وهو ما كان يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم رسله ونُذُرَهُ إلى الناس ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمين [يا معاذ إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله][(١)] .

الأمر الثامن : لا يدخل الجنة إلا الموحد ، أما غير الموحد فلا نصيب له في الجنة ، يقول صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة][(٢)] ، ويقول صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة] ، أما من نَقَضَ التوحيدَ فإن الجنة محرمة عليه ، يقول الله تعالى [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] .

الأمر التاسع : أن التوحيد هو أعظم حق لله على عباده ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله قال [كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لي يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً][(٣)] .

الأمر العاشر : ختم النبي صلى الله عليه وسلم دعوته بالدعوة إلى التوحيد ، فقد كان صلى الله عليه وسلم وسكرات الموت تغشاه وهو يحمي جناب التوحيد ويحذر من الشرك ويقول صلى الله عليه وسلم [لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد] يحذر مما صنعوا[(٤)] .

هذه عشرة أمور تبين فيها عظم التوحيد ، وهناك أمور أخرى لكن نقتصر على هذه العشرة .

وقوله "وهو إفراد الله بالعبادة" : معنى التوحيد في اللغة من وحَّد يوحِّد توحيداً ، أي جعل الشيء واحداً لا ثاني له .

وفي الشرع هو إفراد الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فتشمل أقسام التوحيد الثلاثة .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٨٢٤ ، "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمتَه إلى توحيد الله تبارك وتعالى" ، عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما .

(٢) أخرج أحمد في المسند عن معاذ رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه – أو يقيناً من قلبه – لم يدخل النار – أو دخل الجنة ، وقال مرة دخل الجنة و لم تمسه النار] ، وصححه الألباني .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٦٤٤ ، "باب اسم الفرس والحمار" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٤ ، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة" ؛ كلاهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٢٤٤ ، "باب ما يُكرَه من اتخاذ المساجد على القبور" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٨٢٣ ، "باب النهي عن بناء المساجد على القبور" ؛ كلاهما عن عائشة رضي الله عنها .

.....

مسألة : لماذا اقتصر الشيخ رحمه الله هنا على الألوهية ، فقال هو إفراد الله بالعبادة ؟

والجواب : لأن أكثر ما وقع فيه الناس من الشرك هو في توحيد العبادة وهو توحيد الألوهية ، والشيخ رحمه الله يريد تقرير هذا التوحيد العظيم الذي فرّط فيه كثير من الناس .

* ومسمى التوحيد من المسميات التي تُطلق على علم العقيدة ، وإطلاق علم التوحيد على هذا العلم الجليل تؤيده النصوص الشرعية ؛ فيؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن [إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوه إليهم أن يوحدوا الله] .

* وقد ألّف العلماء رحمهم الله تعالى كتباً في العقيدة وسموها التوحيد ؛ مثل :

أولاً : "كتاب التوحيد" للإمام ابن منده ، وهو مطبوع في مجلدين ، وهو في توحيد الربوبية .

ثانياً : "كتاب التوحيد" للإمام ابن خزيمة رحمه الله ، وهو محقق في مجلدين ، وهو في توحيد الأسماء والصفات .

ثالثاً : "كتاب التوحيد للشيخ الذي هو حق الله على العبيد" ، وهو للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو كتاب مشهور ، وهو في توحيد الألوهية .

وقوله "وهو إفراد الله بالعبادة" : العبادة لها معانٍ ؛ فمنها أنها "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة" ، وقيل "هي كمال الذل مع كمال الحب لله تعالى" .

والعبادة الشرعية هي الخضوع لأمر الله سبحانه وتعالى الشرعي ؛ وقلنا الأمر الشرعي لأن أمر الله تعالى ينقسم إلى قسمين :

أولها : الأمر الشرعي ؛ مثل قوله سبحانه وتعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] فهذا أمر شرعي .

ثانيها : الأمر الكوني ؛ مثل قوله سبحانه وتعالى [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] .

والخضوع للأمر الشرعي اختياري ، أما الخضوع للأمر الكوني فهو اضطراري ، لأنه أمر قدَّره الله وكَتَبَه ، فلا بد من وقوعه .

.....

* إذن فالذي بُعث به الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام هو الأمر الديني الشرعي ، وهذه هي العبادة الدينية الشرعية ، وهي العبادة التي شرَّف الله أهلها وميزهم عن غيرهم ، وهي عبادة خاصة بالمؤمنين ، يقول تعالى عن هذه العبادة [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا] ويقول تعالى عنهم [فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ] ، ويقول عز وجل عنهم [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] وهذه عبادة خاصة بأهل الإيمان .

أما العبادة الكونية – وهو الخضوع لأمر الله الكوني القدري – فهذه لا ينفرد بها أهل الإيمان ، بل هي عامة ، فجميع الخلق لا يخرجون عن أمر الله الكوني القدري ، قال تعالى [إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا] فهذه عامة يشترك فيها المؤمن والكافر ، وكلهم عباد لله في هذا المعنى ، ولا يخرجون عن أمره الكوني القدري .

وهناك فرق في القضاء بين قوله تعالى [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] وقوله [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] ؛ فقوله [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] هذا قضاء ديني شرعي ، وقوله [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] قضاء كوني قدري .

وهنا سؤال : هل يستطيع أحد أن يستجيب لأمر الله سبحانه وتعالى الشرعي بدون الإرادة الكونية القدرية له من الله ؟

والجواب : لا ، فلا يمكن الاستجابة لأمر الله الشرعي إلا لمن أراد الله له كوناً وقدراً أن يستجيب .

وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو دعوة غيره معه ، والدليل قوله تعالى [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا][١] .

---

[١] قوله "وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو دعوة غيره معه ، والدليل قوله تعالى [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا]" : الشرك ضد التوحيد ، ولا يجتمع في قلب مؤمن توحيدٌ وشرك أكبر ، لأن الشرك الأكبر ينقض التوحيد .

والشرك في اللغة معناه النصيب ، فإذا أشرك مع الله غيره فقد جعل له نصيباً في العبادة التي لا يستحقها إلا الله عز وجل .

والشرك هو أعظم الذنوب ، وإذا وقع العبد في الشرك فقد وقع في الذنب العظيم ، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال [سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك][(١)] .

مسألة : لماذا كان الشرك هو أعظم الذنوب ؟

الجواب : لأن المشرك مُتَنَقِّصٌ لله عز وجل ، فكأنه يقول إن الله تعالى لا يستطيع أن يقضي حاجتي ، فلابد من معاون مع الله حتى تقضى هذه الحاجة ! ومن تنقصه لله سبحانه وتعالى أن يجعل العبادة التي جعلها الله حقاً له سبحانه يجعلها حقاً لغيره سبحانه وتعالى من الأنداد والشركاء الذين يعبدهم من دون الله عز وجل .

* هناك أمور تُبيِّن قبح الشرك ؛ ومنها :

الأمر الأول : أن الشرك هو أعظم الذنوب ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال [سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك] .

الأمر الثاني : أن من مات على الشرك فلا يُغفر له ، يقول الله عز وجل [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] .

الأمر الثالث : من مات على الشرك حُرِّمت عليه الجنة ، قال تعالى [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] .

الأمر الرابع : أن المشرك نجس نجاسة معنوية ، يقول الله تعالى [إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٤١١٧ ، "باب قوله تعالى [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٢٤ ، "باب كون الشرك أقبح الذنوب" ؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

.....

الأمر الخامس : أن المشرك لا يُقبل منه صرف ولا عدل ، يقول الله تعالى عن أعمالهم [وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا] وبقول عز وجل [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] .

الأمر السادس : أن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد حذَّروا من الشرك وأَمَروا بتوحيد الله عز وجل .

وقوله "وهو دعوة غيره معه" : أي دعوة غير الله تعالى مع الله عز وجل ، فيستعين بغير الله أو يستعيذ بغير الله أو يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله تعالى .

* هناك أنواع ينحصر فيها الشرك الأكبر ؛ وهي أربعة :

النوع الأول : شرك الدعاء ؛ فالدعاء عبادة لله لا تُصرف إلا لله سبحانه ، ولِعِظَم الدعاء جعل الله تعالى هو العبادة ، يقول الله سبحانه وتعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] فسمى الدعاء عبادة ، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم [الدعاء هو العبادة][(١)] .

فإذا دعا العبد غيرَ الله بأنْ ذهب إلى صاحب القبر الفلاني فيدعوه أو يتبرك بترابه ويطلب منه قضاء الحاجات أو تفريج الكربات ، فلاشك أن هذا هو عين الشرك بالله عز وجل ، أو أن يدعو الله في حال الضراء ويشرك به في السراء ، قال تعالى [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] .

النوع الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ؛ وهي أن ينوي العبد بعمله غير الله تعالى ، وله أحوال :

أولاً : إن نوى بأصل عمله غير الله حبط عمله كله .

ثانياً : إن نوى بأصله وجه الله لكن داخَلَه الرياء في أثنائه ، فهذا ينقص من ثوابه على قَدْرِ ما داخله من الرياء ، وفي الحديث [يقول الله تعالى "أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"][(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن برقم ١٢٦٤ ، والترمذي في السنن برقم ٢٨٩٥ ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وقال الترمذي "هذا حديث حسن صحيح" .

(٢) هذا حديث قدسي أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٥٣٠٠ ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ؛ قال النووي في شرحه على مسلم ((ومعناه أنا غني عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله ، بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به)) انتهى .

.....

وهذا النوع من الشرك بيَّنه الله تعالى في كتابه في آيتين ، فقد بيَّن أن أناساً يعملون أعملاً لا يريدون بها وجه الله ، بل يريدون ثواباً وأجراً في الدنيا ، فيوفيهم الله الثواب والأجر في الدنيا ، يقول الله عز وجل [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ، ويقول تعالى [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا] .

فهذه الآيات هي فيمن عمل أعمالاً في الدنيا ويريد من ورائها السُّمْعَةَ والثناء من الناس ، فهذا يوفيه الله أجره في الدنيا ، فيُظهر الناس اسمه ويُثْنَى عليه بعمله ، فيلقى الله وليس له عند الله حسنة ، قال تعالى [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] .

ولكن لا تخلط بين هذا وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم [تلك عاجل بشرى المؤمن][1] ، فالمؤمن يعمل ويريد بعمله وجه الله فيكتب الله له به أجر الدنيا والآخرة ، لكن الثاني لا يريد وجه الله وليس عنده نية صالحة في عمله ، وإلا فالمؤمن قال الله عنه [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] وقال في السابق [فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] .

فالكفار الذين اخترعوا مخترعات لا نصيب لهم من أجورها في الآخرة ؛ وبعض الناس يقول لماذا لا ندعو للكفار وهم قد اخترعوا لنا وعملوا ما عملوا ؟

فنقول : لا ندعو لهم ، لأن الله يقول [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] ، وقد سألتْ عائشةُ رضي الله عنها النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن جدعان الذي كان يفرج الكربات في الجاهلية فقال [إنه لم يقل

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٧٨٠ ، "باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره" ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال [قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجلَ يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال تلك عاجل بشرى المؤمن] ، قال النووي رحمه الله في شرحه ((قال العلماء "معناه هذه البشرى المعجَّلة له بالخير ، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له ، فيحببه إلى الخلق كما في الحديث ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، هذا كله إذا حَمِدَه الناس من غير تعرُّض منه لحمدهم ، وإلا فالتعرض مذموم)) انتهى .

.....

قط رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين][1] أي أنه لم يُرِدْ بذلك وجهَ الله تعالى والدار الآخرة ، وإنما أراد الدنيا ، فوفاه الله تعالى أجره .

النوع الثالث : شرك الطاعة ؛ وهو أن يتخذ العبد مشرِّعاً من دون الله ، فيطيعه في التشريع الذي شرَّعه من دون الله .

والتشريع حقٌّ لله تعالى ، والله عز وجل هو الذي يشرع للناس تشريعاً في العبادات وتشريعاً في المعاملات وتشريعاً في الأخلاق والسلوك والآداب وغير ذلك ، فإذا اعتقد أحدٌ أن هناك مشرِّعاً غير الله يحق له التشريع كما يُشرِّع الله ويطاع في تشريعه كما يطاع الله فهذا شرك ، والله عز وجل قال عن المشركين [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] ، والله عز وجل أخبر عن اليهود والنصارى بقوله تعالى [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] أي اتخذوا علماءهم وعُبَّادهم أرباباً من دون الله عز وجل .

وشرك الطاعة هو أن تطيع غير الله عز وجل في تحليل حرام حرَّمه الله ، أو تحريم حلال أحله الله ، وهذا هو الذي فسر به النبي صلى الله عليه وسلم شرك الطاعة لَمَّا سمع عدي بن حاتم قول الله تعالى [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] ، فلما سمعها عدي قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لسنا نعبدهم يا رسول الله – لأنه ظن أن عبادتهم هي الحج لهم أو الصلاة لهم أو الصوم لهم – فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قال بلى ، فقال صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم .

النوع الرابع : شرك المحبة ؛ وهو اتخاذ الأنداد من دون الله ، بأن يحبهم كما يحب الله تعالى ، فهذا شرك أكبر ، يقول الله عز وجل [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣١٥ ، "باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل" ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت [قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يَصِلُ الرحمَ ويُطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين] .

.....

والمحبة لله تعالى واجبة على كل مكلف ، فيحب الله تعالى وحده لا شريك له ، يقول صلى الله عليه وسلم [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين][(١)] ، فمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون في قلب المؤمن لا تفوقها أي محبة ، لا محبة نفس ولا محبة ولد ولا محبة مال ولا أي محبة من أنواع المحاب .

* والمحبة تنقسم إلى عدة أقسام :

أولاً : محبة الله تعالى .

ثانياً : محبة ما يحبه الله سبحانه ؛ وهذه هي علامة محبة الله ، فإذا ادعى العبد محبة الله فعلامة حبه لله أن يحب ما يحبه الله ، قال تعالى [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] وهذه هي آية الابتلاء والامتحان للذين يدَّعون المحبة لله ، فالذي يدعي المحبة لله ننظر إلى عمله ، هل محبوباته توافق ما يحبه الله ؟ فهذا صادق ، أما إذا كانت محبوباته لا يحبها الله فهذا كاذب في محبة الله .

ثالثاً : الحب في الله ولله ؛ وهذا أيضاً علامة من علامات حب الله ، قال صلى الله عليه وسلم [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار][(٢)] .

رابعاً : المحبة مع الله ؛ وهي الشرك ، كما قال تعالى [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ] فيتخذ نداً وشريكاً يحبه كما يحب الله عز وجل ، فيطيعه في معصية الله .

فالحب مع الله قد يكون شركاً وقد يكون معصية ؛ فإن كانت محبتك لهذا الشخص أَوْدَتْ بك إلى الشرك فهي شرك ، وإن أودت بك إلى معصية فهي معصية .

وقوله "والدليل قوله تعالى [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا]" : هذه الآية تضمنت أمراً ونهياً ؛ ففيها أمرٌ بإفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ، ونهيٌ عن الشرك بالله عز وجل بأن يجعل العبد مع الله نداً يدعوه من دون الله أو يذبح له من دون الله أو ينذر له من دون الله عز وجل .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٤ ، "باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٦٣ ، "باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٥ ، "باب حلاوة الإيمان" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٦٠ ، "باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل معرفةُ العبدِ ربَّه ودينَه ونبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم[١] .

---

[١] قوله "فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل معرفةُ العبدِ ربَّه ودينَه ونبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم" : انتقل المؤلف رحمه الله تعالى لبيان الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها .

وقوله "فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟" : هذا أسلوب تربوي تعليمي ، وهو عَرْضُ السؤال لكي ينتبه الطالب ، ثم عرض الجواب ، وهذا أسلوب نبوي جاء في عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء أنه إذا أراد أن يعلِّم أصحابَه مسألة يطرحها على صيغة سؤال ، ثم يجيب صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد هذا في حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم [أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟][(١)] ، وورد أيضاً في قوله صلى الله عليه وسلم [أتدرون ما المفلس ؟][(٢)] .

وهذه الصيغة موجودة الآن في كتب طرق التدريس التي تُدَرَّس للمعلمين ، وبعض الناس لِجَهْلِه بدينه وبما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ينسب هذه الطريقة إلى التربويين الغربيين ويجعلها من محاسنهم ، والمفترض أن يكون عالماً بدينه فيؤصِّل هذه المسألة تأصيلاً شرعياً ، ويستدل عليها مِن فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فالمعلم عندما يستعملها يشعر باتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا أمر شَرَعه النبيُّ صلى الله عليه وسلم واستعمله .

وقوله "فقل معرفةُ العبدِ ربَّه ودينَه ونبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم" : هذه الأصول الثلاثة مما يجب على كل مسلم أن يعلمه ويعتني به حقَّ العناية ، وهي من العلم الذي هو فرض عين على جميع المكلفين ، أن بعرف ربه ودينه ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم :

أولاً : ففي معرفة العبد ؛ يقول الله عز وجل [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم [من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة][(٣)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٦٤٤ ، "باب اسم الفرس والحمار" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٤ ، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة" ؛ كلاهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٦٧٨ ، "باب تحريم الظلم" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٨ ، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً" ، عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه .

.....

ثانياً : معرفة العبد لدينه الذي هو دين الاسلام ؛ وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، يقول الله عز وجل [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] ، ويقول سبحانه وتعالى [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ] .

وقد اتفق الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى دين الإسلام ، يقول الله عز وجل [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] وقال [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] ، وسيأتي الكلام عن الإسلام بالتفصيل إن شاء الله .

ثالثاً : معرفة العبد لنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يدخل العبدُ في دين الإسلام إلا إذا أقرَّ وآمن برسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين ، وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وأنه لا نبي بعده ، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع المتقدمة ومهيمنة عليها ، فلا يُعبد الله جل وعلا إلا بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يُحكم بين الناس إلا بشريعته صلى الله عليه وسلم[1] .

---

(١) قال فضيلة الشيخ الدكتور سعد الشثري ((نُثْبِتُ منكراً ونكيراً ، وأنهما يأتيان إلى العبد فيسألانه المسائل الثلاث ؛ ما دينك ؟ من نبيك ؟ من ربك ؟ كما ورد ذلك في عدد من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما ، والموفق المؤمن يُوَفَّقُ للصواب ، وغيره يقول هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

ومن هذا المنطلق – في هذه القضايا الثلاث – وفّق الله جل وعلا الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب إلى تذكير الناس بالأصول الثلاثة ؛ معرفة العبد لربه ولدينه ولنبيه صلى الله عليه وسلم)) انتهى . انظر "شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل ، من إعداد راقم هذه الأسطر عفا الله عنه" .

فإذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنِعَمِه[١]

---

[١] قوله "فإذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه" : هذا هو الأصل الأول من الأصول الثلاثة ، وأصل الرب في اللغة بمعنى المربي المالك المدبر المتصرف ، والله عز وجل هو رب العالمين ، فهو خلقهم ورزقهم وهداهم هداية عامة إلى الحفاظ على نسلهم ، وهداهم كيف يحصِّلون أرزاقهم ، قال عز وجل [الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] .

وقوله "الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه" : نعمته عز وجل هي على جميع الخلق من الإنس والجن والحيوان وجميع الخلق ؛ وهي نوعان :

أولاً : هناك نعمة عامة يشترك فيها جميع الخلق ، كالخلق والإيجاد والرزق والهداية العامة التي هدى الله بها جميع الخلق ؛ فهذه نعمة عامة على جميع الناس والخلق .

ثانياً : هناك نعمة خاصة خصَّ الله تعالى بها أهل الإيمان ، وهي نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهي نعمة الإسلام .

ومثل هذا نقول في التربية التي ربى الله تعالى بها الخلق تنقسم إلى قسمين :

أولاً : تربية عامة ؛ وهذه يشترك فيها جميع الخلق ، فقد ربَّاهم الله جل وعلا بأنْ هداهم لأرزاقهم وأوجد الرحمة في قلوبهم على ذراريهم وهداهم كيف يحافظون على نسلهم وعدم انقراضهم ، فهذه تربية عامة تشمل المؤمن والكافر والإنس والجن والطير والحيوان .

ثانياً : تربية خاصة ؛ وهذه ربَّى الله بها مَن اصطفاهم من عباده من أهل الإيمان ، بأن هداهم إلى الصراط المستقيم واصطفاهم وأورثهم الكتاب ، فربَّاهم بهدايتهم إلى الإيمان ووفَّقهم له وشرح صدورهم له ، كما قال تعالى [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ] ، والانشراح الذي في الصدر للإسلام هو تيسير الإسلام على من اصطفاهم الله للإسلام ، وتيسير الانقياد لشريعة الإسلام ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم [اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خُلق له ؛ أما أهل السعادة فميسَّرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة][(١)] .

وهذا تراه أنت في حياتك اليومية وتشعر به من نفسك ، فتجد الطاعةَ ميسَّرة للسعيد ، فلا يجد فيها مشقة ، بل لا يرتاح إلا بعمل الطاعة ، فإذا أذَّن المؤذِّن وجدَ يُسراً في إجابة النداء والذهاب للمسجد، ويجد يُسْراً في عمل الطاعات ، وتجده يجد مشقة في عمل المعصية ، وعكسه الشقي ، تجده يجد العبادة ثقيلة عليه ، فلا يستطيع القيام لها ، وتجده يجد المعاصي والفواحش ميسَّرة عليه ، فهذا طريق أهل الشقاوة ؛ نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٧٨٦ ، "باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه" ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه[١] ، والدليل قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ][٢] ، وكل مَن سوى الله عالَم وأنا واحد من ذلك العالم[٣] .

---

[١] قوله "وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه" : فهو عز وجل الذي ربى العبدَ بنعمته ، وخلقه وأوجده من العدم ، فهو الذي يجب أن يعبده العبد وحده لا شريك له ، لأنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له .

[٢] قوله "والدليل قوله تعالى [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]" : الحمد هو الاعتراف للمحمود بصفات الكمال مع محبته وتعظيمه ، فلو اعترف العبد لله عز وجل بصفات الكمال ولكن بدون محبة وبدون تعظيم فهذا لا يعتبر حمداً ، فلابد أن يَقْرِنَ ذلك بالتعظيم لله ومحبته سبحانه وتعالى واجتماع أركان العبادة التي هي الخوف والرجاء والمحبة .

وقوله "رَبِّ الْعَالَمِينَ" : فالله عز وجل هو رب الخلق جميعاً .

[١] قوله "وكل مَن سوى الله عالَم وأنا واحد من ذلك العالم" : أي أن كل ما سوى الله وصفاته عز وجل فهو عالَمٌ مخلوقٌ خلقَه الله عز وجل ، فيقال عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات ؛ وبهذا نرد على من قال بخلق القرآن من المعتزلة وأتباعهم ، فالقرآن كلام الله ، وكلامه صفة من صفاته ، فلا يدخل في قوله تعالى [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] .

وكذا في قول الشيخ رحمه الله "وكل مَن سوى الله عالَم ، وأنا واحد من ذلك العالم" في هذا ردٌّ على غلاة الصوفية الذين زعموا أن اللهَ حالٌّ في جميع خلقه ، وزعموا أن الرب عبدٌ والعبد ربٌّ ، وهذا كفرٌ أعظم من كفر اليهود والنصارى ؛ نسأل الله العافية والسلامة .

فإذا قيل لك بِمَ عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته[١]

---

[١] قوله "فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته" : أي بهذا الخلْق الذي خلقه الله عز وجل ، كما قال تعالى [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] وقال تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] .

والله عز وجل فَطَر العباد على معرفته ، فمما يُعرف به الله عز وجل الفطرة [فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ] أي فطرة الإسلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال [كل مولود يولد على الفطرة – يعني على الإسلام ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يُمَجِّسانه][(١)] فهذا أولُ أمرٍ يَعرف به العبدُ ربَّه ، وهو الفطرة التي فطر الله العباد عليها .

* وكذا يُعرف الله عز وجل بآياته ؛ وآيات الله تعالى تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : آيات شرعية ؛ وهي الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ] ، وهو القرآن والحكمة – أي السنة – كما قال تعالى [وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ] وقال [ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ] وقال [وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ] .

فعن طريق الوحي تَعْرِفُ الشريعة التي تعبد الله عز وجل بها ، فتهتدي إلى عبادة الله تعالى بما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبالوحي تحيا القلوب وتستنير ، قال تعالى [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] .

والوحي يهدي للتي هو أقوم ، قال تعالى [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] وقال سبحانه وتعالى [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] .

القسم الثاني : آيات كونية ؛ وهي المخلوقات التي خلقها الله عز وجل في الكون ، مثل السماوات والأرض والشمس والقمر والكواكب ، وإن شئت فقل آيات آفاقية ، قال تعالى [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٢٧٠ ، "باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه ؟ وهل يُعرَض على الصبي الإسلام ؟" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٠٣ ، "باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين" ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهنّ وما بينهما[١] ، والدليل قوله تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ][٢] .

فهذه الآيات تدل على أن لها خالقاً وأنها لم توجد نفسها ، وأنها لم توجد صدفة بدون خالق ، ولذا قال تعالى [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ] ؛ فإما أن يكون هذا الكون وُجد بدون خالق ، وهذا مستحيل ، وإما أن يكونوا أوجدوا أنفسهم ، وهذا مستحيل ، لأنهم لو خلقوا أنفسهم لاستطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الضر وأن يجلبوا لها الخير ، لكنهم لا يستطيعون ذلك ، قال تعالى [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] ، فما داموا لا يستطيعون أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً ولا أن يدفعوا عنها ضراً فلابد لهم من خالق ، وهو الذي يُقدر عليهم الضر ويُقدر لهم النفع ، وهو الله عز وجل .

القسم الثالث : المُعجزات التي أجراها الله على يد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فقد سماها الله تعالى آية ، كما في قوله تعالى [وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ] .

[١] قوله "ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهنّ وما بينهما" : كل هذه المخلوقات خلقها الله تعالى من أجل توحيده وعبادته وحده لا شريك له ، يقول تعالى [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا] .

[٢] قوله "والدليل قوله تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ]" : في هذه الآية ذكر الله سبحانه تعالى الليلَ والنهار والشمس والقمر ثم نهى العبادَ عن السجود لها ، وذلك لأن السجود عبادة لا تُصرف إلا لله عز وجل .

وهذه الآيات والمخلوقات كلها تسجد لله عز وجل سجودَ عبادة ، لكن كيفية ذلك السجود لا يعلمه إلا الله[(١)] ، وإذا رجعت إلى سورة الحج تجد أن الله تعالى قرن سجود المخلوقات بسجود أهل الإيمان ، وهكذا في سورة الإسراء [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] .

---

(١) يشير شيخنا الشارح حفظه الله إلى قوله تعالى [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ] ؛ حيث قرن الله تعالى سجود هذه المخلوقات بسجود كثير من الناس من عباد الله المؤمنين الطائعين له سبحانه .

وقوله تعالى [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ][١] .

وفي آية الحج وآية الإسراء ردٌّ على من يجعل تسبيح هذه المخلوقات تسبيح حال ، فيقول بأن حالها يسبح الله ، ومن رآها سبح الله ! فنقول هذا صحيح ، لكن قَصْرُ تسبيحها وسجودها على هذا لا يصح ، بل هو تسبيح حقيقي وسجود حقيقي ، لكن لا يعلم ذلك إلا الله ، والدليل قوله تعالى [وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] .

وأيضاً في آية سورة مريم دليل على أن هذه المخلوقات والجمادات من السماوات والأرض والليل والنهار تتزعج بما يُحْدِثه العبد من معصية لله عز وجل ، قال تعالى [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا] .

[١] قوله "وقوله تعالى [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]" : هذا استدلال من الشيخ رحمه الله على عبادة الله عز وجل بخَلْقِ هذه المخلوقات ، وأنه الخالق للسماوات والأرض في ستة أيام .

وفيها إثبات صفة الاستواء لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته ؛ ومعنى الاستواء على العرش في اللغة العلو عليه ، أي علا على العرش واستوى عليه ، والعرش هو السقف المحيط بالمخلوقات ، والاستواء صفة من صفات الله عز وجل نُثبتها له كما يليق بجلاله وعظمته .

وقوله "يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ" : أي يغطِّي كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ ، فيذهب ظلام الليل ويأتي ضياء النهار ؛ وقد امتن الله تعالى على عباده بظلام الليل وضياء النهار ، كما في سورة القصص ، قال تعالى [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] فهذه نعمة من نعم الله عز وجل على عباده ، وهي نعمة الليل والنهار .

والرب هو المعبود ، والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ][١] ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى ((الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة))[٢] .

---

[١] قوله "والرب هو المعبود ، والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]" : هذه الآية في سورة البقرة بعد أن ذكر الله عز وجل صفات المؤمنين وصفات الكافرين وصفات المنافقين ، فأمر الله العباد بعبادته وحده لا شريك له ، وعدَّد عليهم النِّعَم التي أنعم الله بها عليهم ، وبدأها بنعمة الخلق [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] .

فهذه النعم التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات هي أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده بعد نعمة الاسلام ، وهي نعمة الخلق ونعمة الأرض ونعمة السماء ونعمة الماء ونعمة النبات ، فاستدل الله سبحانه بربوبيته على توحيد الألوهية ، فمن أقرَّ بأن الله هو الخالق فيلزمه أن يعبد الله وحده لا شريك له .

[٢] قوله "قال ابن كثير رحمه الله تعالى ((الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة))" : أي الخالق للعباد والسماء والأرض والمطر والنبات هو المستحق وحده سبحانه وتعالى للعبادة ، فلا ينبغي أن يُشْرَكَ معه غيره[١] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية ((شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته ، بأنه تعالى هو المنعم على عَبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغه عليهم النعمَ الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم [الْأَرْضَ فِرَاشًا] أي مهداً كالفراش مُقَرَّرَة موطّأة مثبَّتة بالرواسي الشامخات ، [وَالسَّمَاءَ بِنَاءً] وهو السقف ، كما قال في الآية الأخرى [وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ] ، [وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً] – والمراد به السحاب هاهنا – في وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقًا لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى [اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يُعْبَدَ وحده ولا يُشْرَكَ به غَيره ، ولهذا قال [فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ])) انتهى . انظر "المجلد الأول ، صفحة ١٩٤" .

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان[١] .

---

[١] قوله "وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان" : هذه هي مراتب الدين التي بعث الله بها نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وهي التي وردت في حديث جبريل عليه السلام في سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم ، حيث سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، وبعد أن انتهى وذهب قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"(١) ، فقد علمهم الدين في مجلس واحد ، وهذا يدلنا على سهولة الإسلام ويُسره ، وأنه ليس بصعب ، فهو دين تعبَّد الله به العباد وأمرهم أن يتعلموه ، فهو سهل يسير ، وليس فيه غموض وألغاز ، فإذا أقبل العبد على هذا الإسلام يسَّر الله له تعلمه ، وهذا وعد من الله يقول عز وجل ، قال تعالى [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] .

وإذا قرأت في القرآن وفي كتب السنة وفي كتب السلف الصالح وجدت اليسر والسهولة ، أما التعقيد والغموض فتجده في الكتب التي قد حُشيت بعلم الكلام وعلوم الفلاسفة .

وقوله "مثل الإسلام والإيمان" : ما الفرق بين الإسلام والإيمان ؟

اختُلِفَ في الفرق بينهما على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه ليس بينهما فرق ، فالإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام ، والصحيح أن بينهما فرق في حال دون حال .

القول الثاني : أن الاسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو الاعتقادات الباطنة ، وهذا صحيح لكن فيه قصور .

القول الثالث : أن الاسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اتحدا ، وهذا هو القول الصحيح ، والمعنى إذا اجتمعا في نص واحد افترقا في المعنى ، فيصبح الإسلام هو الأعمال الظاهرة و الإيمان هو الاعتقادات الباطنة ، كما في حديث جبريل عليه السلام ، فقد فسَّر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالاعتقادات الباطنة ، ومثله قوله تعالى [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا] والمراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة .

أما لو افترق الايمان والإسلام في النص ، كما لو ذُكِرَ الإسلام فقط في النص ، فإنه يشمل الإيمان ، فيكون معنى الإسلام كل الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ] فالمراد كل الدين من الأعمال الظاهرة والباطنة مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٩ ، "باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان" ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

.....

وهكذا الإيمان لو ذُكر وحده ، كما في سورة الأنفال ، يقول الله عز وجل [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا] فالوجل وزيادة الإيمان مع تلاوة آيات الله والتوكل على الله هذه من الأعمال القلبية الباطنة ، وإقامة الصلاة والإنفاق من الأعمال الظاهرة ، ثم قال عز وجل [أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا] فالإيمان هنا شمل الأعمال الظاهرة والباطنة .

فائدة : في قوله تعالى [قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا] دليل على أن لديهم إيمان ، حيث قال تعالى في آخر الآية [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ] ، فهُم عندهم إيمان لكنه ضعيف ، ومما يدل على ضعف إيمانهم أنهم مَنُّوا بإيمانهم وإسلامهم على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا] ولو كان إيمانهم قوياً لما منوا به على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله "والإحسان" : الإحسان قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ، فهو المراقبة لله تعالى .

ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها ، كلها لله تعالى[١] ، والدليل قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا][٢] .

فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى [وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ][٣] .

---

[١] قوله "ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها ، كلها لله تعالى" : ذكر الشيخ رحمه الله أنواعاً لتوحيد العبادة ، وهو توحيد الألوهية ، وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

[٢] قوله "والدليل قوله تعالى [وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا]" : المساجد هي الأماكن التي تُبنى للعبادة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [إنما هي للذكر والصلاة][(١)] .

وأخبر الله تعالى أن المساجد يعمرها أهل الإيمان ، قال تعالى [إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] ، وعمارة المساجد تنقسم إلى قسمين :

أولاً : عمارة حسية ؛ وذلك ببنائها وتجهيزها للمصلين .

ثانياً : عمارة معنوية ؛ وهي عمارتها بالذكر والطاعة والصلاة وإقامة دروس العلم وتعليم القرآن وتعليم السنة وغير ذلك من أنواع العبادة .

وقوله "فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" : النهي يشمل كل مكان في المساجد وغيرها ، لكن ذكر الله النهي في المساجد نظراً لأنها هي أماكن الطاعة والعبادة ، وإلا فالله عز وجل يعبده العبد ويخشاه ويتقيه في المساجد وفي غيرها .

[٣] قوله "فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى [وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ]" : أي أن من دعا غير الله أو ذبح لغير الله أو خاف من غير الله في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله ، وهكذا كل الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، واستدل بقوله تعالى [وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] .

---

(١) كما أخرج مسلم في الصحيح برقم ٤٢٩ ، "باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد" ، في قصة الذي بال في المسجد ، بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه – وفيه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن] .

وفي الحديث [الدعاء مُخُّ العبادة] ، والدليل قوله تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ][١] .

---

[١] قوله "وفي الحديث [الدعاء مُخُّ العبادة] ، والدليل قوله تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]" : ذكر الشيخ رحمه الله الأدلةَ التفصيلية على أنواع العبادة ، فقال رحمه الله "وفي الحديث [الدعاء مُخُّ العبادة] ، والدليل قوله تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]" .

والحديث الصحيح حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [الدعاء هو العبادة][(١)] ، أما لفظ [الدعاء مخ العبادة][(٢)] فهو حديث ضعيف ، أخرجه الترمذي وقال "هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهِيعة" ، فهو حديث فيه ضعف ، وقد ضعَّفه الشيخ الألباني بهذا اللفظ في "ضعيف الجامع" .

وقوله "[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]" : هذا دليل على أن الدعاء عبادة لله جل وعلا ، فمن دعا اللهَ فقد عَبَدَه .

* والدعاء نوعان :

النوع الأول : دعاء العبادة ؛ وهو دعاء الله تعالى امتثالاً لأمره ، فإنه سبحانه أمر عباده بالدعاء ، فمتى دعوتَ الله تعالى ممتثلاً أمره فإن دعاءك دعاء عبادة ، قال تعالى [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] فإذا دعوته امتثلت أمره ، وإذا امتثلت أمره عبدْتَه سبحانه وتعالى .

النوع الثاني : دعاء المسألة ؛ وهو دعاؤه سبحانه وتعالى لجلب المنفعة ودفع المضرة ، وهو عبادة لله عز وجل ، قال تعالى [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن برقم ١٢٦٤ ، والترمذي برقم ٣١٧٠ ، عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه ، وقال الترمذي "هذا حديث حسن صحيح" .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٣٢٩٣ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنهما ، والحديث في إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ، فهو مدلِّس كما قرر المحدثون .

ومعنى الحديث عند أهل العلم "أن الدعاء لُبُّ العبادة وخالصها ، لأن الداعي إنما يدعو اللهَ عند انقطاع أمله مما سواه ، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ، ولا عبادة فوقهما" .

ودليل الخوف قوله تعالى [فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ][١] .

---

[١] قوله "ودليل الخوف قوله تعالى [فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ]" : الخوف هو ما يحصل للعبد بتوقعه لضرر أو هلاك ؛ والخوف أنواع :

النوع الأول : خوف طبيعي ؛ كالخوف من عدو أو سَبُع أو حَيَّة ، وهذا لا ينافي الإيمان ، بل هو خوف طبيعي يحصل للإنسان عندما يُتوعد من قبل عدوٍ أو يرى سبعاً أو حية أو غير ذلك ، والله عز وجل قال عن موسى [فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ] .

النوع الثاني : خوف السر ؛ وهو أن يخاف من غير الله عز وجل من وثن أو ولي معتقداً فيه الضر والنفع ، فيخاف أن يصيبه بمكروه أن يصرف عنه نفعاً ، وهذا شرك ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما [واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك][(١)] .

النوع الثالث : أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من الناس ؛ كأن يترك النصيحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا مذموم ، لكن إذا تركه الإنسان خوفاً على نفسه من الهلاك بأن يحصل له أمر لا يطيقه فهنا تأتي مراتب الإنكار حسب الاستطاعة ، كما قال صلى الله عليه وسلم [من رأى منكم منكراً فليُغَيِّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه][(٢)] ؛ لكن أهم شيء إذا لم يستطع أن يغير ذلك المنكر فدليل كرهه لهذا المنكر هو عدم متابعته لصاحب المنكر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إلا من رضي وتابع][(٣)] فلا يتابِع صاحب المنكر في منكره .

النوع الرابع : خوف تعبُّد وتعلق ؛ وهو أن يخاف أحداً ويتعبد بالخوف له فيدعُوْهُ الخوف لطاعته ، وهذا خاص بالله تعالى ، فهو وحده الذي يُخَاف منه ، فتعبده وحده خوفاً من غضبه وسخطه وطمعاً في رضاه وجنته سبحانه وتعالى .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٤٤٠ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٧٠ ، "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان" ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) كما أخرج مسلم في الصحيح برقم ٣٤٤٥ ، "باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك" ، بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [ستكون أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سَلِم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا أفلا نقاتلهم ؟ قال لا ما صلوا] .

ودليل الرجاء قوله تعالى [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا][١] .

---

[١] قوله "ودليل الرجاء قوله تعالى [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا]" : الرجاء هو الطمع وانتظار الشيء المحبوب ، وهو يتضمن التذلل والخضوع ، ولا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

وأهل العلم يقولون "الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطائر" فلا غنى للمؤمن عنهما ، فهما ركنان من أركان العبادة ، فإن العبادة لها ثلاثة أركان ، خوف ورجاء ومحبة ، وقد قال العلماء "من عَبَدَ الله بالخوف والرجاء والمحبة فهو سُنِّي ، ومن عبدَ الله بالخوف فقط فهو حروري خارجي ، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ ، ومن عبد الله بالحب فقط فهو زنديق صوفي" ، فهذه الثلاثة الأركان لابد أن تجتمع في المؤمن ؛ الخوف والرجاء والمحبة .

* والرجاء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : رجاء محمود ؛ وهو رجاء مَن عمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله ، فهذا رجاء محمود لأنه يعمل ويرجو .

القسم الثاني : رجاء مذموم ؛ وهو التمني ، وهو رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا ويرجو رحمة الله بلا عمل ! وهذا غرور وتمنٍّ ، ومن يرجو رحمة الله بدون عمل فهذا متناقض ، لأن الله عز وجل سنَّ سنة كونية أن كل راجٍ لأمر لابد أن يبذل أسبابه ، فلو أن شخصاً يرجو أن يأتي له ولد ولم يتزوج ! فهذا سيقول الناس عنه بأنه مجنون ، ولو أن شخصاً يرجو أن يكون عالِمَاً فقيهاً ولم يتعلم ! فهذا مجنون ، ولو أن شخصاً يرجو شجرة ونباتها ولم يبذل أسباب السقي والحرث والزرع ! فهذا مجنون ؛ فهكذا الذي يقول أنا أرجو الجنة وأطمع في مغفرة الله وهو لا يعمل بطاعة الله ! فهذا متلاعب بشرع الله عز وجل ، وهذا نقصٌ في عقله ، فلابد أن يعمل وأن يبذل الأسباب لكي يرجو ما عند الله عز وجل .

ودليل التوكل قوله تعالى [وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] ، وقال [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ][١] .

---

[١] قوله "ودليل التوكل قوله تعالى [وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] ، وقال [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]" : التوكل هو الاعتماد ، بأن يعتمد العبد على الله عز وجل اعتماداً صادقاً لمصالح دينه ودنياه مع فعل الأسباب المأذون فيها شرعاً .

ومن التوكل على الله التوكلُ عليه سبحانه في أمور الدين ، وقد قال سبحانه [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ] ، وقال [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] أي نعبدك ونستعين بك في عبادتك ، وقد أمر الرسولُ صلى الله عليه وسلم العبدَ أن يستعين بالله عز وجل في عبادته ، فقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ [والله إني أحبك ، لا تدعنَّ دُبُرَ كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك][(١)] .

فهذا الدعاء "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" يشرع قوله في الصلاة ؛ ولك أن تقوله قبل السلام ولك أن تقوله بعده ، وكلا القولين قد قال به العلماء .

* أنواع التوكل على الله عز وجل :

النوع الأول : توكلٌ في تحصيل العبد لمنافعه من الرزق والصحة والولد وغير ذلك مما ينتفع به العبد في دنياه ، وهذا يؤجر عليه العبد المؤمن الموحد إذا توكل على الله في تحصيل هذه الأشياء ، بل هو مأمور بذلك .

النوع الثاني : التوكل على الله تعالى في طاعته وعبادته وتحصيل مرضاته طاعةً وعبادة ؛ فكونه يتوكل على الله سبحانه في أداء الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات فهذه طاعة وعبادة .

* أما التوكل على غير الله عز وجل فأنواع :

النوع الأول : التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، من جلب النفع ودفع الضر ؛ وهذا شرك أكبر مخرج من الملة ، لأن العبد ليس سبباً في تحصيل ذلك الأمر ، ويدخل تحت قوله تعالى [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ] .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم ١٣٠١ ، والنسائي برقم ١٢٨٦ ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وصححه الألباني .

.....

النوع الثاني : أن يتوكل على العبد وهو حي حاضر فيما أقدره الله تعالى عليه ؛ فيتوكل على إنسان في أمر يقدر عليه ذلك الإنسان ، فيكون سبباً له في رزق أو دفع ضر ، فهذا فيه تفصيل :

أولاً : إذا تعلق قلب العبد بذلك الإنسان واعتمد عليه ونسي التوكل والاعتماد على الله عز وجل ، فهذا شرك أصغر .

ثانياً : إن اعتقد أن هذا الإنسان سبب فقط وأن الأمور بيد الله وأن الله عز وجل هو الذي يجلب النفع ويدفع الضر ، وأن هذا إنما هو سبب من الأسباب التي هيأها الله عز وجل ، فهذا لاشيء فيه .

النوع الثالث : الاعتماد على الغير فيما يقدر عليه نيابة ووكالة ؛ فهذا جائز ، بأنْ يوكل غيره في أمر من الأمور التي تخصه ، ومعروف أحكام الوكالة في الفقه الإسلامي ، وقد وكَّل النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه في ذبح بعض هديه في حجة الوداع ، ووكل صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضي الله عنه في الصدقة .

وقوله "وقال [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]" : استدل الشيخ رحمه الله تعالى بقوله تعالى [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] ، وهذا الآية عظيمة ، فإذا اعتمد العبدُ على الله عز وجل كفاه الله تعالى كل هَمٍّ وغم ونَصَب ، "فهو حسبه" أي كافيه ، فإذا اعتمد على الله وتوكل عليه وتعلَّق قلبه بالله عز وجل كفاه الله سبحانه وتعالى ما يهمه من أمر دينه ودنياه .

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ][١] .

---

[١] قوله "ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ]" : احتوت هذه الآية على ثلاثة أنواع من العبادات :

أولاً : على المسارعة في الخيرات والتنافس فيها ، والله عز وجل يقول [وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ] أي في عمل الخير وعمل الطاعات .

ثانياً : الرغبة ؛ وهي السؤال والتضرع مع محبة تلبية المطلوب ، وهذا ممدوح في العبد ، بأن لا يدعو الله عز وجل وهو قانط يائس ، بل يدعو ولديه ثقة باستجابة الله تعالى له .

أما الذي يدعو الله عز وجل من باب التجربة هل يستجاب له أو لا يستجاب له ؟! أو يدعو الله عز وجل وهو يائس ، فهذا ظن بربه ظن السوء ، وقد قال الله عز وجل [أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء][(١)] ، ويجب على العبد أن يظن بربه خيراً ، وأنه سيستجيب له ويعطيه سُؤْلَه .

ثالثاً : الرهبة ؛ وهي بمعنى الخوف ، فيخاف حال الدعاء لسوء حاله ومعاصيه وذنوبه ، فيخاف أن يرد دعاؤه لأجل ذنوبه ومعاصيه .

وفرقٌ بين من يكون خائفاً من رد الدعاء بسبب القنوط واليأس من رحمة الله وبين شخص يخاف من رد دعوته بسبب ما يعلم من حاله من تقصير ومن تفريط ومن ذنوب ومعاصٍ ، ولذا ينبغي للعبد أن يسأل اللهَ عز وجل أن يعامله برحمته وبما هو أهلٌ له ، وهو سبحانه أهلٌ للعفو والمغفرة ، فيسأل الله عز وجل أن لا يعامله بما العبد نفسه أهلٌ له ، لأن العبد يعتريه التقصير ويعتريه التفريط وارتكاب الذنوب والمعاصي والمخالفات .

وقوله "وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" : الخشوع هو التذلل والخضوع لله عز وجل ، وقد مدح الله تعالى الخاشعين ، قال تعالى [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ] .

فإذا وقف العبد بين يدي الله فليقف في تذلل وفي خضوع وفي رِقَّة ، وكان ثابت البُناني رحمه الله يقول "إني أعلم متى يستجيب الله لي ، إذا خشع قلبي ودَمَعَت عيني أثناء دعائي وتضرعي علمتُ أن الله استجاب لي" ؛ وهذا يحصل لمن يُلِحُّ في الدعاء والتضرع ويكثر منه ، ويطرق رحمة الله تعالى كثيراً ويلتجئ ويستغيث تحصل له الاستجابة برحمة الله تعالى وفضله .

---

(١) هو صدر حديث قدسي أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٨٥٦ ، "باب قول الله تعالى [وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٣٢ ، "باب الحث على ذكر الله تعالى" ؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ودليل الخشية قوله تعالى [فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي][١] .

---

[١] قوله "ودليل الخشية قوله تعالى [فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي]" : الخشية هي بمعنى الخوف ، لكن الخشية أخص من الخوف ، وهي مبنية على تعظيم الله تعالى وإجلاله في قلب العبد ، قال تعالى [ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] فإذا عظَّم العبدُ ربَّه عز وجل وعظَّم شعائره فهذه هي الخشية من الله عز وجل ، ولذا قال الله سبحانه وتعالى [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] لأن أهل العلم معظمون لشعائر الله ولأوامر الله عز وجل ، وكلما ازداد العبد علماً ازداد خشية من الله عز وجل لتعظيمه لشعائر الله عز وجل .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى ((الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة ؛ فالخوف يمنع العبدَ عن محارم الله ، وتشاركه الخشية في ذلك ، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله ، وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله ، فيخضع العبد لله ويخبت لربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل ، وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه ، فهذا خشوع خاص ، وأما الخشوع الدائم الذي وَصَفَ الله خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته ، فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة)) انتهى .

ودليل الإنابة قوله تعالى [وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ][١] .

---

[١] قوله "ودليل الإنابة قوله تعالى [وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ]" : الإنابة بمعنى التوبة ، وقال العلماء إنها أعلى من التوبة ، والفرق بين التوبة والإنابة أن التوبة إقلاع وندم وعزم على عدم العودة ، وأما الإنابة ففيها المعاني الثلاثة السابقة وتزيد معنى آخر وهو الإقبال على الله تعالى بالعبادات ، كما قال تعالى [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا] .

فالعبدُ أمرَه الله بالإنابة بعد أن أمره بالتوبة ، كما في سورة الزمر يقول الله سبحانه وتعالى [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ] يعني أنك إذا تُبْتَ من الذنب فانتقل إلى مرتبة الإنابة ، وهي أعلى من التوبة ، وهي الإقبال على الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحات التي تكفِّر السيئات وترفع الدرجات .

* والإنابة إلى الله عز وجل تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : إنابة عامة يشترك فيها جميع الخلق ؛ وهي الإنابة إلى الله تعالى في استجلاب الرزق ، قال تعالى [وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ] وهذا عام في حق كل داعٍ أصابه ضر ، فيدخل في ذلك حتى الكافر ، قال تعالى [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] .

القسم الثاني : إنابة خاصة ؛ وهي إنابة أهل الايمان إلى الله عز وجل ، وهذه الإنابة هي التوبة والإقلاع والعزم على عدم العودة والإقبال على الله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية ، وهذه الإنابة خاصة بأهل التوحيد والإيمان .

ودليل الاستعانة قوله تعالى [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ، وفي الحديث [إذا استعنت فاستعن بالله](١)[١] .

---

[١] قوله "ودليل الاستعانة قوله تعالى [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] ، وفي الحديث [إذا استعنت فاستعن بالله]" : الاستعانة هي طلب العون ، بأنْ يطلب العبد من ربه الإعانةَ على الطاعة أو على استجلاب الرزق أو على جلب النفع أو على دفع الضر .

وقد قَرَنَ الله الاستعانة بالعبادة ، فقال عز وجل [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ]أي نعبدك ونستعين بك على عبادتك وعلى طاعتك ، وقدَّم الله تعالى العبادة على الاستعانة في الآية لأن العبادة حق لله سبحانه وتعالى ، فقدمه الله عز وجل ، وحق الله مقدم .

* والاستعانة أنواع :

النوع الأول : الاستعانة بالله المتضمنة كمال الذل مع كمال الحب لله عز وجل ؛ وهي تتضمن ثلاثة أشياء :

أولاً : الخضوع والتذلل لله عز وجل .

ثانياً : الثقة بالله عز وجل .

ثالثاً : الاعتماد على الله عز وجل .

فمن توفرت فيه هذه الثلاث الصفات فهو مستعين بالله عز وجل .

النوع الثاني : الاستعانة بالمخلوق على أمر يَقْدِر عليه ؛ وهذا يقال فيه كما قيل في التوكل ، فإذا كان هذا العبد يستعين بهذا المخلوق فيما يقدر عليه مع اعتماده وتوكله على الله جل وعلا وأن هذا العبد إنما هو سبب فقط فهذا جائز ، أما إذا اعتمد عليه ونسي التوكل والاستعانة بالله عز وجل فهذا شرك أصغر .

ويزيد على ذلك أن تكون هذه الاستعانة بالمخلوق في أمر خير ، ولا تجوز إعانته على الشر ، لأن الله عز وجل قال [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] .

النوع الثالث : الاستعانة بالأموات أو بالأحياء على أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل ؛ وهذا شرك أكبر ، ويدخل هذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما قيل له [أي الذنب أعظم ؟ فقال أن تجعل لله نداً وهو خلقك](٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٤٤٠ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الألباني .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٤١١٧ ، "باب قوله تعالى [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٢٤ ، "باب كون الشرك أقبح الذنوب" ؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

.....

النوع الرابع : الاستعانة بأمور وأحوال محبوبة شرعاً ؛ وهي الاستعانة بالطاعات على أمور الدنيا والدين ، يقول الله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فَزَعَ إلى الصلاة .

فالعبد إذا أصابه همٌّ أو غم فقام وتوضأ وأخذ المصحف وقرأ من القرآن وقرأ الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفريج الهم والغم وقام إلى الصلاة فهذه أمور وأسباب مشروعة أَمَرَ الله تعالى بها شرعاً ، قال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] فكونك تستعين بالصبر وتستعين بالصلاة على أمرك فهذا أمر مطلوب ومحبوب من العبد .

وقوله "وفي الحديث [إذا استعنت فاستعن بالله]" : هذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما [يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك] .

ودليل الاستعاذة قوله تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] وقوله تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ][١] .

---

[١] قوله "ودليل الاستعاذة قوله تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ] وقوله تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ]" : الاستعاذة هي الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يُعيذك ويحفظك ، فتلتجئ إلى من تعتقد أنه يُعيذك ويلجئك ويحفظك ، وهذا هو الله عز وجل ، وهو الذي يحفظ العبد إذا التجأ إليه ويعصمه من كل سوء وشر .

وأعظم أنواع الاستعاذة بالله أن تستعيذ بالله عز وجل من عدوك وتلتجئ إلى الله عز وجل من عدوك وهو الشيطان الرجيم ، قال تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ] وقال تعالى [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ] وشر المخلوقات هو إبليس ، وهو الشيطان وأنصاره من الإنس والجن ، وقد جاء في الأدعية المأثورة [أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق][(١)] ، وقال صلى الله عليه وسلم [أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر][(٢)] .

أما الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء فيما لا يَقْدِرون عليه أو فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فهذا كما تقدم شرك بالله عز وجل .

أما الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه كما لو هربتَ من دابة أو شيء تخاف منه فالتجأت إلى عبد يحميك ، أو هربت لعلمك أنه سبب ، مع اعتمادك وتوكلك على الله عز وجل ، فهذا جائز كما قلنا في التوكل وفي الاستعانة .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٨٢ ، "باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره" ، عن خولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٠٨٢ ، "باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء" ، عن عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالى عنه .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ][١] .

---

[١] قوله "ودليل الاستغاثة قوله تعالى [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ]" : الاستغاثة هي أن تطلب الغوث ممن يستطيع أن ينقذك من ضيق أو شدة أو كرب .

وهنا مسألة : ما الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة ؟

والجواب : الاستعاذة أن تطلب منه أن يمنعك وأن يحصِّنك ويعصمك ، والاستغاثة أن تطلب منه أن يزيل ما حلَّ بك من شدة وكرب .

ودليل الذبح قوله تعالى [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] ، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم [لعن الله من ذبح لغير الله][١](١) .

---

[١] قوله "ودليل الذبح قوله تعالى [قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] ، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم [لعن الله من ذبح لغير الله]" : الذبح هو التقرب إلى الله عز وجل بإراقة الدم ، إما بنذر ينذره العبد لربه أو هدي أو ضحايا أو عقيقة ، هذه هي الأنواع المشروعة في الذبح .

* والذبح يقع على عدة أوجه :

النوع الأول : الذبح من باب التعظيم للمذبوح له ؛ وهذا لا يكون إلا لله عز وجل ، ولا يجوز لأحد أن يتقرب لأحد من الناس بالذبح من باب التعظيم ؛ وإذا تقرب بالذبح للجان أو للساحر أو للكاهن أو لأحد من المخلوقين من باب التعظيم له فهذا شرك بالله عز وجل .

النوع الثاني : الذبح من باب الإكرام للضيف أو لوليمة العرس ؛ وهذا مأمور به شرعاً إما من باب الوجوب أو الاستحباب ، فمن باب الوجوب ما كان في العرس ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف [أولم ولو بشاة](١) ، وعلى سبيل الاستحباب قوله صلى الله عليه وسلم [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه](٢) ، والإكرام للضيف بالأمر الحلال الذي أحله الله يرجع لما تعارف الناس عليه ففي بعض الأماكن تعارف الناس على أن إكرام الضيف هو أن تذبح له وأن تكرمه باللحم فهذا شيء تعارف الناس عليه وما تعارف الناس عليه أنه إكرام يكرم به ولا حرج ما دام أنه مما أحله الله تعالى .

النوع الثالث : أن يكون الذبح للتمتع بالأكل ؛ وهذا على الأصل وهو الإباحة ، فبهيمة الأنعام أباحها الله عز وجل .

وقوله تعالى "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي" : أي جميع صلواتي ، سواء كانت الصلاة بمعنى الدعاء فهي لله سبحانه ، أو الصلاة بالأفعال والأذكار المشروعة في أداء الصلاة ، فكلها يؤديها العبد لله عز وجل .

---

(١) سيأتي تخريج الحديث إن شاء الله بعد إيراد شيخنا الشارح حفظه الله للحديث بتمامه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٩٠٨ ، " باب ما جاء في قول الله تعالى [فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٥٥٧ ، "باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك" ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٥٥٥٩ ، "باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٦٧ ، "باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير" ؛ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

.....

وقوله تعالى "وَنُسُكِي" : أي أنساكي ، وهي الذبائح التي يتقرَّب بها العبدُ ، كما قلنا من الهدي والأضحية والعقيقة .

وقوله تعالى "وَمَحْيَايَ" : أي أمر حياتي وما أعمله ، فكل حياتي لله عز وجل ، مرتبطة بشرع الله سبحانه وتعالى ، فلا أتصرف في هذه الحياة إلا بما أمرني الله عز وجل به .

وقوله تعالى "وَمَمَاتِي" : أي أمر موتي وما ألقاه ، فكله يعود إلى الله عز وجل .

وقوله تعالى "لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" : كما قال **[لَا شَرِيكَ لَهُ]** .

وقوله تعالى "وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" : أي أُمرت بالإخلاص والتوحيد لله عز وجل .

وقوله "ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم [لعن الله من ذبح لغير الله]" : والحديث بطوله عن علي رضي الله عنه قال [حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات ؛ لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غيّر منار الأرض][1] ، فهذه الأصناف الأربعة ملعونة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها مَن ذبح لغير الله .

والذبح لغير الله يكثر في صنف من الناس ، وهم الصنف الذين يلتجئون إلى السحرة والكَهَنَةِ والمشعوذين ، فيُلبِّس عليهم أولئك السحرة بأن يقولوا لهم إذا شفيت أو وَجَدْتَ ضائعتك أو حصَّلت ولداً أو شفي مريضك فاذبح ، فيظن ذلك الجاهل أنه يذبح لله ، والساحر قصدُه أن يذبح لغير الله ، لأن الساحر قصده أن يخرج هذا العبد من ملة الإسلام إلى ملة الكفر ، لأن شياطين الجن لا تتعاون مع شياطين الإنس من السحرة والكهنة والمشعوذين إلا إذا تعاهدوا فيما بينهم على أن يُخرجوا العباد من عبادة الله تعالى إلى عبادة الشياطين .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم بسنده في الصحيح برقم ٣٦٥٧ ، "باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله" ؛ عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

ودليل النذر قوله تعالى [يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا][١] .

---

[١] قوله "ودليل النذر قوله تعالى [يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا]" : النذر هو أن يُلزم الإنسان نفسَه شيئاً غير لازم عليه بأصل الشرع ، من صدقة أو صيام أو غير ذلك من أنواع الطاعة ؛ كأن يقول لئن شفي مريضي لأصومنَّ ، أو يقول لئن نجحت في الاختبار لأتصدقنَّ ، ونحو ذلك .

والنذر في الأصل مكروه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم [إنه لا يأتي بخير ، وإنما يُستخرج به من البخيل][(١)] والمراد بالرجل البخيل هنا الرجل الذي لا يتقرب إلى الله تعالى بالطاعة إلا إذا حصل له مكروه أو وقع في كرب وشدة ، فيفزع ويقول اقضِ حاجتي يا رب وأنا أعمل كذا !

فالآن تصبح العبادة بينه وبين الله على سبيل المعاوضة ، فكأنه قال لا أطيعك إلا إذا حققت لي كذا ، وهذا خطأ ، فالله عز وجل يستحق العبادة على كل حال ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال [عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن][(٢)] ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما [تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة][(٣)] .

فالعلماء قالوا كُره النذر على هذه الصورة ، وهي صورة المعاوضة ، لأنه أصبح كأن طاعة العبد مشروطة بتحقيق رغبة له ؛ لكن إذا دخل العبد فيه وجب عليه الوفاء ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال [من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يَعْصِه][(٤)] .

فالنذر عبادة لا يجوز للإنسان أن ينذر لغير الله تعالى ، فلا يجوز له أن ينذر لنبي أو ملك أو ولي ، بل يكون النذر لله عز وجل ، كما قال صلى الله عليه وسلم [من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه] .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٠٩٥ ، "باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً" ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .
قال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم ((وأما قوله صلى الله عليه وسلم "يُستخرج به من البخيل" فمعناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعاً محضاً مبتدئاً ، وإنما يأتي بها في مقابلة شفاء المريض وغيره مما تعلق النذر عليه)) انتهى .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٥٣١٨ ، "باب المؤمن أمره كله خير" ، عن صهيب بن سنان رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند برقم ٢٦٦٦ ، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال عنه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم "هذا الحديث خرجه الترمذي من رواية حنش الصنعاني عن ابن عباس ، وخرَّجه الإمام أحمد" ، ثم أورد طرق الحديث وقال "وبكلٍّ حال ، فطريق حنشٍ التي خرجها الترمذي حسنة جيدة" .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٢٠٢ ، "باب النذر في الطاعة" ؛ عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

.....

وهكذا من نَذَرَ بأمرٍ يشقُّ عليه فلا يجب عليه الوفاء به ، والنبي صلى الله عليه وسلم [لما رأى رجلاً واقفاً ، فقال لهم ما له ؟! قالوا نذر أن يقف ولا يجلس ولا يستظل وأن يصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مُرُوه فليجلس وليستظل وليتم صومه][1] فالعبادة أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم بإتمامها ، وأما كونه يقف في الشمس ولا يجلس ولا يستظل فلا .

* وهذه الأنواع التي أوردها الشيخ رحمه الله من العبادات – كالدعاء والخوف والخشية والاستغاثة والاستعانة والنذر وغيرها – هي أنواع لتوحيد العبادة ، وهو توحيد الألوهية ، وهو توحيد القصد والطلب ؛ فكل هذه المسميات الثلاثة هي لنوع واحد من أنواع التوحيد .

* * *

وبهذا ننتهي من الأصل الأول ؛ وهو
معرفة الله عز وجل ؛ وندخل
في الأصل الثاني ؛ وهو
معرفة دين الإسلام
بالأدلة

.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٢١٠ ، "باب النذر فيما لا يملك وفي معصية" ؛ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة[١] .
وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[٢] .

---

[١] قوله "الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة" : بعد أن انتهى الشيخ رحمه الله تعالى من بيان الأصل الأول ، وهو معرفة العبد ربه سبحانه وتعالى ، انتقل إلى بيان الأصل الثاني ، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة .

والدين يُطلق على عدة معانٍ :

أولاً : يطلق على الطاعة والانقياد .

ثانياً : يطلق على ما يتدين به الإنسان ويتخذه ديناً .

والدين منه الحق ومنه الباطل ؛ فمنه الدين الحق الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين ، ومنه الأديان الباطلة التي اتخذها المشركون .

والدين الحق الذي بعث الله به المرسلين هو دين الإسلام ، الذي قال الله فيه [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] وقال [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ] .

ودين الإسلام هو الدين الذي بُعث به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبُعث به الأنبياء من قبله ، فهو الذي قال الله تعالى فيه [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] وقال سبحانه [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] ، فهو تحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له .

[٢] قوله "وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله" : هذا تعريف الإسلام ، وقد احتوى هذا التعريف على ثلاثة أُسُسٍ وقواعد :

القاعدة الأولى : "الاستسلام لله بالتوحيد" ؛ أي الاستسلام لله بعبادته وحده لا شريك له ، وكلمة "التوحيد" قد وردت في النصوص الشرعية ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن فقال له [يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله][(١)] ويفسرها ما جاء في الرواية الأخرى [فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله][(٢)] ، والمقصود بالتوحيد هو إثبات الوحدانية لله تعالى وحده ، وأن تعبد الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٨٢٤ ، "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمّتَه إلى توحيد الله تبارك وتعالى" ، عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما .

(٢) أخرجه البخاري برقم ١٤٠١ ، "باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا" ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

.....

فالأساس الأول هو الاستسلام لله بالتوحيد ، وقد ذُكر الاستسلام في أكثر من آية ، منها قوله تعالى [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] وقال تعالى [إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا] وقال تعالى [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ] .

القاعدة الثانية : "الانقياد له بالطاعة" ؛ أي تنقاد لِمَا أمرك الله جل وعلا به بدون تردد ، فلا تجد في نفسك حرجاً مما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم به ، ولا تجد شكاً ولا ارتياباً ، ولا تجد تردداً في الانقياد لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم به .

والطاعة هي اتباع الأوامر واجتناب النواهي ، فإذا أُمر العبد فعليه أن يسمع ويطيع ، وإذا نُهي فعليه أن ينتهي عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهي من مكمِّلات التوحيد ، وهي كما قال بعض السلف هي الأسنان للمفتاح ، فلا إله إلا الله مفتاح الجنة وهي أسنان هذا المفتاح .

القاعدة الثالثة : "البراءة من الشرك وأهله" ؛ فمع الاستسلام والانقياد لله جل وعلا فأيضاً تتبرأ من الشرك وأهل الشرك ، لأن كلمة التوحيد هي الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، قال تعالى [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا] فولاء المؤمن للرسول صلى الله عليه وسلم ولأهل الإيمان ، وهذا يستلزم أن من قواعد التوحيد البراءة من الشرك وأهله ، قال تعالى [وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ] .

والولاء والبراء قاعدة عظيمة من قواعد الإيمان والتوحيد التي قررتها الشريعة ، فأما الآيات فقد ذكرنا شيئاً منها ، وأما الأحاديث فيكفي منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار][1] فهذا الحديث احتوى على عقيدة الولاء والبراء :

أولاً : "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" ؛ فيه الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : قوله "وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" ؛ فيه الولاء لأهل الإيمان .

ثالثاً : قوله "وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" ؛ وهذه البراءة من الكفر وأهله .

---

(١) أخرجه البخاري برقم ١٥ ، و مسلم برقم ٦٠ ؛ كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان[١] .
فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام[٢] .

---

[١] قوله "وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان" : أي الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم هو ثلاث مراتب ؛ الإسلام والإيمان والإحسان ، وكل مرتبة لها أركان ، وهذه المراتب الثلاث هي التي وردت في حديث سؤال جبريل عليه الصلاة والسلام للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهي الدين كله ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابة رضي الله تعالى عنهم "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .

[٢] قوله "فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام" : فأركان الاسلام خمسة :

أولاً : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

ثانياً : إقام الصلاة .

ثالثاً : إيتاء الزكاة .

رابعاً : صوم رمضان .

خامساً : حج بيت الله الحرام .

وهذه الأركان الخمسة للإسلام وردت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [بُني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً سول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان][(١)] ، وفي حديث جبريل فسَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم الإسلام بهذه الأركان الخمسة .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله ((والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس ، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه ، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ، ودعائم البينيان هذه الخمس ، فلا يثبت البنيان بدونها ، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان ، فإذا فُقد منها شيئاً نقص البنيان وهو قائم لا ينقص بذلك ، بخلاف نقص هذه الدعائم ، فإن الإسلام يزول بفَقْدِها جميعاً بغير إشكال ، وكذلك يزول بفقد الشهادتين ، وأما إقام الصلاة فقد وردت أحاديث مقصودة تدل على أن من تركها فقد خرج من الاسلام ، وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف ، وذهبت طائفة منهم إلى ان من ترك شيئاً أركان الاسلام الخمسة عمداً أنه كافر بذلك)) انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٧ ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٠ ؛ كلاهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

.....

* حكم من ترك ركناً من أركان الاسلام الخمسة[١] :-

الأمر الأول : الركن الأول "وهو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" ، فمن أشرك بالله عز وجل و لم يحقق تلك الشهادة ، وهي إثبات العبادة والوحدانية لله عز وجل ونفي كل ما يُعبد من دون الله ، فأشرك مع الله تعالى غيره ، فهذا كفرٌ بالله عز وجل .

والشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الأكبر مخرج من ملة الاسلام ، وقد توعَّد الله سبحانه وتعالى صاحبه إن مات عليه من غير توبة بعدم المغفرة وبعدم دخول الجنة ، قال تعالى [إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] وقال [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] .

كذلك شهادة أن محمداً رسول وإثبات الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه رسولٌ من عند الله وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام وأن شريعته صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع المتقدمة ، كما قال الله سبحانه وتعالى [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] ، فبعد نزول شريعته صلى الله عليه وسلم لا يُحكم إلا بشريعته عليه الصلاة والسلام .

فمن أنكر رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو أنكر ختم النبوة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أو أنكر أن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع المتقدمة ، أو أنكر وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم التي قد قرنها الله تعالى بطاعته في قوله تعالى [مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا] وقال [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ] ، فمن أنكر هذه الأشياء فلا شك في كفره وخروجه من ملة الاسلام ، قال صلى الله عليه وسلم [كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟! فقال صلى الله عليه وسلم من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى][٢] .

---

(١) هذه المسألة عقدها شيخنا الشارح حفظه الله لبيان حكم من ترك ركناً من أركان الإسلام الخمسة ؛ فقسَّمها شيخنا إلى قسمين ، أولهما في بيان حكم من ترك الشهادتين ، وثانيهما في بيان حكم من ترك بقية أركان الإسلام الأربعة ، ثم قسَّم شيخنا من ترك هذه الأركان الأربعة إلى قسمين ، أولها مَن جحد أحد هذه الأربعة الأركان ، وثانيها من أقرَّ بوجوبها و لم يجحدها لكن تركها تهاوناً وكسلاً أو بخلاً ، وهذا القسم الأخير يختلف فيما لو ترك الصلاة أو ترك غيرها من بقية الأركان الثلاثة ، ولكلٍّ حكمه .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٦٧٣٧ ، "باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

.....

الأمر الثاني : بقية أركان الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج ؛ وهذا قسمان :

القسم الأول : من أنكر واحداً منها جحداً لوجوبها ، فقال بأنها غير واجبة وأن الله تعالى لم يفرضها على الأمة ، فمن أنكر واحداً من هذه الأركان جحداً لوجوبه فلا شك في كفره .

فهذه الأركان الأربعة – الصلاة والزكاة والصوم والحج – من جحد وجوبها كفر ، فمن قال إنها ليست واجبة فقد كفر بالله جل وعلا ، لأنها من المعلوم وجوبه من الدين بالضرورة .

القسم الثاني : من أقرَّ بوجوبها وترك واحداً منها تهاوناً وكسلاً كما في الصلاة والصوم والحج ، أو تركها بخلاً كما في الزكاة ، فهذا يختلف حسب اختلاف الأدلة من ركن إلى ركن :

أولاً : الصلاة ؛ والصلاة كما هو معلوم قد قامت الأدلة على أن تاركها تهاوناً وكسلاً كافر ، كما قال صلى الله عليه وسلم [العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر][1] ، وقال [بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة][2] ، وأجمع على ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، و لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرَون من الأعمال شيئاً تركه كُفر إلا الصلاة .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٥٤٥ ، وقال "حديث حسن صحيح" ، عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم برقم ١١٦ ، "باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة" ؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما .

قلت : الكلام في حكم تارك الصلاة ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : من تركها جحداً لوجوبها ، فهذا كافر بإجماع أهل العلم .

القسم الثاني : من أقر بوجوبها لكنه تركها تهاوناً وكسلاً ، فهذا على خطر ، ولكن اختلف في كفره أهل العلم على قولين :

أولاً : قال الجمهور بعدم كفره ، وهو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وهؤلاء اختلفوا على قولين :

١. قال مالك والشافعي إنه يُقْتل حداً ، بمعنى أنه تقام عليه حقوق المسلم الميت من ناحية تجهيزه والصلاة عليه ودفنه وتقسيم تركته والدعاء له ونحو ذلك .

٢. وقال أبو حنيفة إنه لا يُقتل ولكن يُحبس ويعزر بما يراه الحاكم الشرعي حتى يصلي أو يموت .

ثانياً : قال الحنابلة إن تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً يكفر بذلك ، فيستتاب فإن تاب وإلا قُتل ، ويُقتل كفراً ، فلا تقام له الحقوق السابقة من تغسيله ودفنه ونحوها ، لكنهم اختلفوا في القدر من الصلاة الذي إذا تركه وجب قتله على خمسة أقوال :

١. أنه لا يكفر إلا إذا تركها بالكلية ، أما لو كان يصلي بعضاً ويترك بعضاً فلا .

٢. أنه يكفر بترك صلاة واحدة ؛ فمتى خرج وقت صلاة واحدة وقد ترك المكلفُ الصلاةَ تهاوناً فإنه يكفر بذلك ، فإن عاد في الوقت الثاني وصلى فإنه يرجع للإسلام مرة أخرى .

٣. أنه لا يكفر بترك الصلاة إلا إذا ترك وقتين متتاليين ، وهذا هو قول جمهور الحنابلة .

٤. أنه لا يكفر إلا بخروج وقت الصلاة وما يُجمع إليها إن كان يُجمع إليها صلاة أخرى ، فيترك صلاة الظهر ويترك صلاة العصر إلى أن يخرج وقت العصر ، أو يترك صلاة المغرب ويترك العشاء إلى أن يخرج وقت العشاء .

٥. أن القول بكفره يتعلق بتركه صلاة يوم كامل .

.....

ثانياً : أما الزكاة والصيام والحج فمن أقر بوجوبها ثم تهاون بالقيام بها فلا شك أنه على خطر عظيم ، ويكفي في وعيد من بخل بالزكاة قوله عز وجل [وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ] ، وأيضاً قوله تعالى [وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ] ، فهذا الرجل الذي بخل بزكاة ماله حباً لذلك المال جزاؤه يوم القيامة أن يعذَّب بنفس المال الذي بَخِلَ به واشتد حبه له حتى منع زكاته ، قال تعالى [يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ] .

ومانع الزكاة يُمَثَّلُ له في قبره كتره شجاعاً أقرع يعذب به في القبر ، وكذلك الذي يمنع زكاة بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم ورد الوعيد الشديد له الذي مفاده أنه يعذب بنفس ماله ، فيُبطح في عرصات القيامة ، ويؤتى بهذه البهائم في أسمن صورة وأكمل هيئة ، فتدوسه بأرجلها وتنطحه بقروها حتى يقضي الله بين العباد ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فهذا وعيد توعد الله تعالى فيه تارك الزكاة .

وقد توعد الله تعالى تارك الزكاة بالنفاق ، قال تعالى [فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ] ، وتوعده بأنه بعذب بنفس ماله الذي منع زكاته .

وأما الحكم عليه بالكفر أو عدمه فالصحيح أنه لا يُحْكَم عليه بالكفر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الذي يعذب بماله من بهيمة الأنعام قال في آخر الحديث "حتى يرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار"[(١)] ، فكونه قد يدخل الجنة دليل على أنه ليس بكافر ، وأنه من أهل الملة ومن أهل القبلة ، لكن كما قلنا ورد الوعيد الشديد في حقه .

وكذا من ترك الصوم بدون عذر شرعي وانتهك حرمة نهار رمضان فأفطر فيه عامداً متعمداً بغير مرض ولا سفر ولا شيء من الأعذار الشرعية فلا شك في أنه ارتكب إثماً عظيماً وجرماً كبيراً ، وأنه على خطر عظيم .

---

(١) أخرج أحمد في المسند برقم ٩٩٥٧ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها – قلنا يا رسول الله وما رسلها ونجدتها ؟ قال في عسرها ويسرها – فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكبره وأسمنه وأسره ، ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه فيه بأخفافها ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ...] الحديث .

.....

وكذا من تهاون في أداء ركن الحج وهو مستطيع ، والحج على المستطيع الصحيح أنه يجب عليه على الفور ، فلا يجوز له التأجيل إلى السنة القادمة إذا استطاع الحج هذه السنة ، قال صلى الله عليه وسلم [تعجلوا الحج والعمرة فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له][1] ، وعمر رضي الله عنه قال "هممت أن أبعث إلى الأمصار ، فمن وجدوه صاحب سعة – أي غنى – ولم يحج فليضربوا عليه الجزية" ، فيجب على المستطيع أن يتعجل في أداء الركن ، لأنه قد يكون مستطيعاً بالمال فيصيبه الفقر ، وقد يكون صحيحاً في بدنه فيمرض ، فيكون مفرطاً ، فهو استطاع لكنه فرَّط .

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند برقم ٢٧٢١ ، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، وحسَّنه الألباني في إرواء الغليل .

فدليل الشهادة قوله تعالى [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][١] .

---

[١] قوله "فدليل الشهادة قوله تعالى [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]" : فالله عز وجل شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو ، وشهد له ملائكته ، وشهد له أولوا العلم ، وفي هذا مزية وفضيلة لأهل العلم ، فإن الله عز وجل قَرَنَ شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة .

وقوله "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" : أي حَكَمَ وأعلم وأخبر بأنه لا إله إلا هو .

وقوله "وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ" : قَرَنَ الله تعالى شهادة الملائكة وشهادة أولي العلم بشهادته من باب التشريف والتكريم للملائكة ولأولي العلم .

* وفي هذه الآية من الفوائد :

أولاً : فضل كلمة التوحيد .

ثانياً : منزلة الملائكة وأن لهم منزلة عظيمة عند الله عز وجل ، لأنه قرن شهادتهم بشهادته .

ثالثاً : فضل أهل العلم ، فإن الله تعالى خصهم بالذكر دون سائر البشر ، وذلك لفضلهم ، فهم أهل الخشية ، كما قال الله عز وجل [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ][(١)] .

* **<u>وهنا مسألة :</u>** في قوله تعالى [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ] هنا تقديم الملائكة على أولي العلم ، فهل في هذا دليل على تفضيل الملائكة على أولي العلم ؟

نقول : هذه المسألة اختلف العلماء فيها ، وهي مسألة المفاضلة بين الملائكة وبين صالحي البشر من الأنبياء والصديقين والشهداء وأهل العلم ، ولهم فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول : من أهل العلم من قال إن الملائكة أفضل .

القول الثاني : ومن أهل العلم من قال إن الصالحين من البشر أفضل .

القول الثالث : وتوسط شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة فجَمَعَ بين القولين ؛ فقال "إن الملائكة أفضل باعتبار كمال البداية ، والصالحون من البشر أفضل باعتبار كمال النهاية" ؛ والمعنى أن في الحياة الدنيا الملائكة أفضل لقربهم من الله فهم في الملأ الأعلى في السماوات العلا ، ولذا قال الله

---

(١) فالله سبحانه تعالى ميّز أهل العلم ، وقرن شهادتهم بشهادته سبحانه وتعالى ، وأخبر سبحانه أن العلماء هم الخشية لله جل وعلا ، وفي هذا يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في ميميته :

وخصَّهم ربنا قَصْراً بخشيته ... وعَقْل أمثاله في أصدق الكَلِم

ومع شهادته جاءت شهادتهم ... حيث استجابوا وأهل الجهل في صمم

.....

تعالى [فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ] ، ولعبادتهم الدائمة المتصلة ، فمنهم الساجد ومنهم القائم ومنهم الراكع ومنهم المُسَبِّح ومنهم حملة العرش ومنهم المكلف بالوحي ومنهم المكلف بالقَطْر ومنهم المكلف بالنفخ في الصور وغير ذلك من الأعمال الشريفة ، فهم في الدنيا أفضل ، أما في الآخرة إذا كَرَّمَ الله تعالى أهل الإيمان وأدخلهم الجنة فالصاحون من البشر أفضل ، وذلك لأنهم أقرب في الجنة إلى الله تعالى ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إذا سألتم اللهَ الجنةَ فاسألوه الفردوس الأعلى ، فإن سقفها عرش الرحمن][1] .

فالملائكة أفضل باعتبار حالهم في هذه الحياة الدنيا أكمل ، وفي الدار الآخرة حال أهل الإيمان أكمل ؛ وهذا هو القول الوسط .

وأوردنا هذه المسألة لأن الله جل وعلا قرن بين الملائكة وبين صنفٍ من صالحي البشر وهو أولوا العلم ، قال تعالى [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] .

(١) أخرجه بنحوه البخاري في الصحيح برقم ٢٥٨١ ، "باب درجات المجاهدين في سبيل الله" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ومعناها لا معبود بحقٍّ إلا الله[١] ؛ "لا إله" : نافياً جميع ما يُعبد من دون الله ، "إلا الله" : مثبتاً العبادة لله وحد لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه[٢] .

---

[١] قوله "ومعناها"لا معبود بحق إلا الله" : أي معنى كلمة التوحيد "لا معبود بحق إلا الله"(١) ، وهذا واضح ، فإن الله وحده هو الذي يستحق العبادة ، وأما غيره فلا يستحق أن يُصرف له شيء من أنواع العبادة والطاعة التي لا تصرف إلا لله عز وجل .

وهذه العبادة هي أعظم حق لله تعالى على عباده ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له [أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قال الله ورسوله أعلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً](٢) .

[١] قوله "لا إله" : نافياً جميع ما يُعبد من دون الله ، "إلا الله" : مثبتاً العبادة لله وحد لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه" : هذا معنى لا إله إلا الله ، فكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" لها ركنان ؛ نفيٌ وإثبات ، نفي ما يُعبد من دون الله تعالى ، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته .

وأعظم الذكر لله عز وجل أن تذكره بهذه الشهادة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" ، كما في أعظم يوم وفي أعظم موقف ، فأعظم الذكر هو الذكر بكلمة التوحيد ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [خير ما قلت – أنا والنبيون من قبلي – عشية يوم عرفة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شي قدير"](٣) .

ولذا فأهل التصوف الذين يذكرون الله تعالى بلفظ الجلالة الله الله ! فهذا لا يُعد ذكراً ، لأنه ليس فيه إثبات العبادة لله ولا نفي العبادة من دونه سبحانه وتعالى ، فأعظم الذكر هو "لا إله إلا الله" ، ففيه إثبات العبادة لله عز وجل ونفيها عن غيره سبحانه وتعالى .

---

(١) لا نقول إن معنى "لا إله إلا الله" لا معبود إلا الله ، لأنه وُجد من يعبد الأصنام وغيرها ، ولكن نقول المعنى "لا معبود بحق إلا الله"، فالله هو المعبود بحق ، أما الأصنام فلا تستحق العبادة ، كما قال تعالى [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ] .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٦٤٤ ، "باب اسم الفرس والحمار" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٤ ، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة" ؛ كلاهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٣٥٠٩ ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقال الترمذي "هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد ، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث" .

وتفسيرُها الذي يوضِّحها قوله تعالى [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ][١] .

---

[١] قوله "وتفسيرُها الذي يوضِّحها قوله تعالى [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]": إبراهيم عليه السلام هو إمام الحنفاء ، وهنا أعلن عليه السلام التوحيد وأعلن معه البراءة من الشرك وأهله .

وإبراهيم عليه السلام هو الذي حاج قومه حتى أثبت لهم أن الله تعالى هو المستحق للعبادة ، كما قال الله تعالى [وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ، وهذه القصة عن إبراهيم عليه السلام هو هنا هل كان مناظراً أم ناظراً ؟

الجواب : الصحيح أن إبراهيم عليه السلام كان مناظراً لقومه ، فقد كانوا يعبدون الكواكب ، فأراد عليه السلام أن يُثبت لهم أن تلك الكواكب مخلوقة وأنها مُدَبَّرة وأن هناك خالقاً لها ، ولذا قال في النهاية [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] .

وأهل الكلام قالوا إبراهيم عليه السلام كان ناظراً ، وهذا خطأ فاحش لأنه على هذا هو يبحث عن إلهه ، ولذلك قال أهل الكلام أول ما يجب على المكلف هو النظر ! وكلامهم باطل ، بل أول ما يجب على المكلف هو أن يوحد الله عز وجل ، كما قال السلف "إن أول ما يجب على المكلف هو أن يعبد الله وأن يوحده وحده لا شريك له" .

وقوله تعالى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ][١] .

---

[١] قوله "وقوله تعالى [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]": هذه الآية تدلنا أيضاً على تفسير الشهادة .

وقوله "إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ" : قال المفسرون "الكلمة السواء هي الكلمة العادلة" ، فكل كلمة عادلة يُطلق عليها كلمة سواء .

وقوله "بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ" : أي نحن وأنتم سواء في هذه الكلمة ؛ وهذه الكلمة هي [أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا] فهي كلمة التوحيد – شهادة "أن لا إله إلا الله" .

وقوله "وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" : أي لا نعبد شيئاً من دون الله عز وجل .

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ][١] .

---

[١] قوله "ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ]" : الأدلة على إثبات الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وأن طاعته صلى الله عليه وسلم مقرونة بطاعة الله عز وجل كثيرة ، واختار الشيخ من هذه الأدلة قوله تعالى في سورة التوبة [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] .

وهذه الآية امتنَّ الله تعالى فيها على هذه الأمة أنْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون ويفهمون قوله وكلامه ، وفيهم وُلِدَ ونشأ صلى الله عليه وسلم ، فيعرفون قومه ويعرفون قبيلته ، ووصفه الله عز وجل بأعظم وصف ، كما قال تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] أي أنه صلى الله عليه وسلم يجد مشقة وشدة في إعراضكم عنه عليه الصلاة والسلام .

وقوله "عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ" : أي شديد عليه كل ما فيه مشقة عليكم من آصار وأغلال ، لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث بالحنيفية السَّمْحَة .

وفي هذه الآية [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] فيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، بأنه عليه الصلاة والسلام حريص على المؤمنين ، رؤوف رحيم بهم ، يشق عليه ما يقع من عدم قبول الناس لدعوته عليه الصلاة والسلام .

وهذا هو الذي يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون قي قلبه شفقة ورحمة على الناس ، ويدعوهم بالتي هي أحسن ، ويسأل الله عز وجل لهم الهداية ، [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ] .

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شرع[١] .

---

[١] قوله "ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شرع" : وهذا صراحة من أعظم وأجمع وأشمل التفاسير لشهادة أن محمداً رسول الله "طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع" ، وهذه كلها من الفرائض والواجبات على المكلفين ، وقد احتوى هذا التفسير والتوضيح لشهادة أن محمداً رسول الله على عدة قواعد وأسس :

القاعدة الأولى : التصديق ؛ فنصدِّقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر ، وهي مرتبة عظيمة في الإيمان ، وهذه هي القاعدة الأساسية عند أهل الإيمان ؛ وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ينقسم إلى قسمين :

أولاً : تصديق إجمالي ؛ وهذا واجب على جميع المكلفين ، بأنْ تصدِّق أن كل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حق ، سواء بلغك ذلك الخبر أو لم يبلغك ، فتؤمن أن كل ما أخبر به وصح عنه صلى الله عليه وسلم فهو حق يجب الإيمان ويجب التصديق به ويجب التسليم له .

ثانياً : تصديق تفصيلي ؛ وهو أن تصدق بما بلغك عن النبي صلى الله عليه وسلم مفصَّلاً كما بلغك ، فإذا بلغك الخبر وعلمتَ أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب عليك أن تصدق بذلك الخبر مفصلاً كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم .

القاعدة الثانية : طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ؛ فيُمتثل أمره صلى الله عليه وسلم ، وانظر إلى الآية [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] يعني الحرج في الصدر لا يجوز أن يوجد في قلب المؤمن مما قضى به وشرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، بل يكون شعار المؤمن كشعار أبي بكر الصديق رضي الله عنه "إن كان قاله فقد صدق" ، ثم يأتي بعد التصديق الطاعة والامتثال له صلى الله عليه وسلم .

.....

القاعدة الثالثة : اجتناب ما نهى عنه وزجر ؛ فكل ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم تجتنبه ، ولا تعارض أوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه بهواك ولا بذوقك ولا بآراء الناس وأهوائهم ، وبعض الناس تُذْكَر له السنة ويُذْكر له ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقوده هواه إلى العصيان ، وقد يقول لو كان هذا حرام ما فعله أو قاله فلان !

أنت ستسأل في قبرك فيقال لك ما تقول في الرجل الذي بُعث فيك ، ولا تسأل عن الناس .

والشخص مهما كان له من وزن وعلم ، ومهما كان قدره ، فإنه إذا خالف قولُه قولَ النبي صلى الله عليه وسلم يُضرب به عرض الحائط ، كما قال الإمام مالك رحمه الله "إذا خالف قولي قول صاحب هذا القبر فاضربوا به عرض الحائط" .

بل انظر إلى قول عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما لما اختلف مع بعض الصحابة في مسألة واستدلوا بكلام أبي بكر وعمر فقال لهم ابن عباس "أخشى أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون يقول أبو بكر وعمر" ، مع أنهم يستدلون بكلام أبي بكر وعمر ! ومع هذا يقول لهم لا حجة لكم في كلام أبي بكر وعمر إذا بلغكم كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ويقول الإمام أحمد رحمه الله "عجبْتُ من قوم يعرفون الإسنادَ وصحته – يعني إسناد الحديث – يذهبون إلى رأي سفيان ، والله يقول [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا]" ، ويقصد بـــ"سفيان" هنا سفيان الثوري الذي قال عنه العلماء يصلح لإمامة الدنيا والدين ، ومع ذلك الإمام أحمد يقول لا يؤخذ برأي سفيان إذا صحت السنة بخلاف رأي سفيان[1] .

القاعدة الرابعة : أن لا يعبد الله إلا بما شرع ، فلا تعبد الله عز وجل إلا بما شرع النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى بعثه مشرعاً ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد][2] أي مردود على صاحبه ؛ فالعبادة التي تتقرب بها إلى الله تنظر فيها إلى ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخلصت لله وتابعت النبي صلى الله عليه وسلم قُبلت الطاعة .

---

(١) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ((وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائناً من كان ، ونصوص الأئمة على هذا ، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة ، فهـــذا هـــو الذي عناه بعض العلماء بقوله "لا إنكار في مسائل الاجتهاد" ، وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه ، كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد ، وذلك مُجْمَعٌ عليه)) انتهى . انظر "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، المجلد الأول ، صفحة ٣٨٤" .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٢٤٣ ، "باب نقض الأحكام الباطلة ورد مُحدثات الأمور" ، عن عائشة رضي الله عنها .

ودليلُ الصلاةِ والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ][١] .

---

[١] قوله "ودليلُ الصلاةِ والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ]" : الأمر هنا في قوله تعالى [وَمَا أُمِرُوا] أمرٌ ديني شرعي ، والفرق بين الأمر الكوني القدري والأمر الديني الشرعي أن الأمر الكوني القدري لابد من تحققه ، كما قال تعالى [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] ، وأما الأمر الديني الشرعي فهو ما أمر الله تعالى به العباد ، فمن العباد من يمتثل ومنهم من لا يمتثل ؛ فمن أراد الله كوناً وقدراً أن يمتثل امتثل ، ومن لم يُرد الله له كوناً وقدراً أن يمتثل لم يمتثل .

وقوله "مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ" : هذه الآية فيها تفسير العبادة ، وأن العبادة هي الإخلاص لله سبحانه وتعالى .

وقوله "وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ" : هذه الآية دليلٌ على وجوب الصلاة والزكاة كما هو واضح .

* قال العلماء رحمهم الله تعالى ((وهذه الآية فيها دليل كما يقول الأصوليون على أن الكفار مخاطبون بالإيمان وبأركان الإسلام ، لأن الله جل وعلا أمرهم بإفراد العبادة وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مع أنهم وقت الأمر كفار ، مما يدل على أن الكافر مأمور بالإيمان ، كما أن الإنسان إذا دخل عليه وقت الظهر مثلاً وهو مُحْدِثٌ فهو مأمور بالصلاة حال حدثه ، وهكذا الكافر مأمور بالصلاة والزكاة والصيام والحج حال الكفر ، ولكنها لا تصح منه إلا بالإيمان)) يعني إذا وحّد الله عز وجل صحت منه بقية الأعمال .

ودليلُ الصيام قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ][١] .

ودليلُ الحج قوله تعالى [وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ][٢] .

---

[١] قوله "ودليلُ الصيام قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]" : هذه الآية كما هو معلوم فيها وجوب الصيام ، وقد وضَّح الله تعالى وقت الصيام بقوله عز وجل [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ] فوضّح الله سبحانه في هذه الآية أن الواجب صومه هو شهر رمضان ؛ ثم بعدها بيّن وقت الصيام والإمساك فقال تعالى [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ] .

[٢] قوله "ودليلُ الحج قوله تعالى [وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ]" : الحج كما هو معلوم يجب على المستطيع الذي يسَّر الله تعالى له الزاد والراحلة مرة في عمره ، فما زاد فهو تطوع ، وكما سبق أن الحج يجب على الفور .

المرتبة الثانية الإيمان[١] ؛ وهو بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان[٢] .

---

[١] قوله "المرتبة الثانية الإيمان" : أي المرتبة الثانية من مراتب الدين ، وقد تحدثنا عن المرتبة الأولى وهي الإسلام ، والآن نتحدث عن المرتبة الثانية وهي الإيمان .

والإيمان في اللغة هو التصديق .

وفي الشرع "هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" ، وقد اختلفت ألفاظ السلف رحمهم الله تعالى في معنى الإيمان ، وكلها بمعنى واحد ، فكلها تؤدي إلى معنى واحد ، وكلها معانٍ صحيحة ، وكلها ثابتة عن السلف رحمهم الله تعالى ، فمن ذلك :

أولاً : منهم من قال "الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان" .

ثانياً : منهم من زاد في معنى الإيمان على ما ذُكر من الاعتقاد والقول والأعمال قال "واتباع سنة" ؛ ولكن معلوم أن الاعتقاد والقول والعمل لا يُقبل إلا بالإخلاص لله تعالى واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : منهم من قال "الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان" ، ويقصد بالقول قول اللسان ، وبالعمل عمل القلب والجوارح .

رابعاً : منهم من قال "الإيمان قول وعمل ونية" .

[٢] قوله "وهو بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان" : هذا لفظ الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، ورواه البخاري بلفظ "بضع وستون" ، وقد ورد عند مسلم برواية أخرى بالشك "بضع وستون أو بضع وسبعون" ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ((إن الْمُعَوَّل على المتيقَّن ، وهو الأقل ، وهو بضع وستون ، فإن قيل بضع وستون زيادة من ثقة ، والزيادة من الثقة مقبولة ، قيل لكنه لم يجزم بها ، فنقول إن رواية بضع وستون أرجح ، لكن قد يُشْكل على هذا أن مسلماً روى الحديث على روايتين؛ مرة ليس فيها شك "بضع وسبعون" ، ومرة فيها شك "بضع وستون أو بضع وسبعون" ، ولهذا رجح القاضي عياض وغيره رواية بضع وسبعون)) انتهى .

وقوله "شعبة" : أي خصلة ؛ فـــ"بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة" أي بضع وستون أو بضع وسبعون خصلة .

.....

وقوله "فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" : قوله صلى الله عليه وسلم [فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق] هذا دليل على تفاوت شعب الإيمان . وفي هذا الحديث "الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" دليل على أن الأعمال داخلة في الإيمان، وأن الإيمان قول وعمل(١).

وقوله "فأعلاها قول لا إله إلا الله" : فأعلى الشعب هي كلمة التوحيد "قول لا إله إلا الله" ، التي ينتقل بها العبد من دائرة الكفر إلى دائرة الإسلام ، وبها يُعصَم ماله ودمه وعرضه ، كما قال صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله فقد عصم دمه وماله وعرضه وحسابه على الله](٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم [أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله](٣) .

وقوله "إماطة الأذى عن الطريق" : أي إزالة كل ما يؤذي المسلم ، سواء كان ذلك الأذى أذى حسياً أو أذى معنوياً ، لأن الله عز وجل حرَّم أذيَّة المؤمن ، قال تعالى [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا] ، فمن أزال أذى عن طريق المسلم فهو مأجور عند الله عز وجل .

وقوله "والحياء شعبة من الإيمان" : الحياء هو خُلق رفيع يبعث على فعل الخيرات واجتناب القبيح ، وهو من أفضل الأخلاق وأعظمها قدراً .

وأعظم الحياء هو الحياء من الله، والحياء من الله ناتج عن مراقبته سبحانه وتعالى ، فإذا راقب العبد ربه وآمن بأسمائه وصفاته ، فآمن بأنه عليم سميع بصير لا يخفى عليه شيء في الأرض والسماء يعلم السر والعلانية نتج عن ذلك الحياء من الله عز وجل ، ثم يلي ذلك الحياء من عباد الله من الخلق .

---

(١) في كلام شيخنا الشارح حفظه الله هذا ردٌّ على المرجئة ، فإن المرجئة يقولون الأعمال لا تدخل في الإيمان ، فإذا أقر العبد بقبله ونطق بلسانه فهذا يكفي ، فهو مؤمن حتى وإن لم يعمل بجوارحه ، ولكن هذا القول غير صحيح ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال هنا [فأعلاها قول لا إلى إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان] فإن إماطة الأذى من عمل الجوارح ، ومع ذلك فقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان ؛ فظهر بطلان قول المرجئة .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٢٩ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرج البخاري بسنده في صحيحه برقم ٦٤١٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ((لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب ، قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله" ؟! قال أبو بكر والله لأقاتلنّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)) .

.....

ولكن يجب أن يُفهم حد الحياء حتى لا يُدخل فيه ما ليس منه ، وحتى لا تُترك الواجبات والسنن المستحبات بزعم الحياء ، فليس من الحياء السؤال عن العلم ، وبعض الناس قد يسكت عن السؤال بزعم الحياء ، وقد وصفت عائشة رضي الله عنها نساء الأنصار بقولها ((نِعْمَ النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء من السؤال))[1] ، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ((لا يطلب العلم مستحٍ ولا متكبر)) ، فلا يتنافى طلب العلم والسؤال عن الدين مع الحياء .

كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتنافى مع الحياء ، وقول الحق بالضوابط الشرعية لا يتنافى مع الحياء ، ولكن ليس بالتَّسَفُّهِ على الناس ، وإنما بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف الصالح رحمه الله تعالى .

---

(١) أورده البخاري في صحيحه معلقاً عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

وأركانه ستة ؛ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره[١] .

---

[١] قوله "وأركانه ستة ؛ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" : أي أن أركان الإيمان ستة "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" .

* هناك قال "وهو بضع وسبعون شعبة" ، وهنا قال "وأركانه ستة" ؛ فهناك أورد الحديث ، وهنا أورد الأركان التي دل عليها الكتاب والسنة ، ولا منافاة بين أركان الإيمان وشعب الإيمان ، لأن المقصود أن الإيمان إذا كان بمعنى الاعتقاد فهو الأركان الستة ، لأن كل الأركان الستة اعتقاد ، وأما إذا قلنا إن الإيمان يشتمل على الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون ، فحديث الأركان يراد به الأمور الاعتقادية ، وهي الأساسيات في الإيمان ، وأما حديث "بضع وسبعون" فهذا المراد به بيان خصال الخير التي هي الأعمال ، فالأركان المراد بها الاعتقادات ، والشعب يدخل فيها الاعتقادات ويدخل فيها أعمال الجوارح .

وفي قوله "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" هذا هو تفسير النبيِّ صلى الله عليه وسلم للإيمان في حديث سؤال جبريل عليه السلام .

* **الركن الأول :** الإيمان بالله ؛ ويشمل الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وهذه هي أنواع التوحيد الثلاثة .

أولاً : فنؤمن بالربوبية ؛ وهي أفعال الله عز وجل .

ثانياً : نؤمن بالألوهية ؛ وهي توحيد الله تعالى بأفعال العباد ، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

ثالثاً : ونؤمن بالأسماء والصفات ؛ وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل .

* **الركن الثاني :** الإيمان بالملائكة ؛ والإيمان بالملائكة هو من الإيمان بالغيب ، وهو من أركان الإيمان التي تجب على جميع المكلفين ، فيجب عليهم أن يؤمنوا بالملائكة إيماناً إجمالياً وإيماناً تفصيلياً ، فهو على نوعين :

أولها : الإيمان الإجمالي بالملائكة ؛ وهو أن تؤمن بكل الملائكة الذين خلقهم الله عز وجل ، سواء علمت أسماءهم أو لم تعلمها ، وكذا تؤمن إجمالاً بوظائفهم التي أوكلها الله تعالى إليهم .

ثانيها : الإيمان التفصيلي ؛ بأن تؤمن بالملائكة الذين ذكر الله تعالى أسماءهم وذكر الله تعالى وظائفهم إيماناً تفصيلياً كما جاء في النصوص ، ؛ فنؤمن بالتفصيل الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

.....

جبريل وميكائيل وإسرافيل هؤلاء ملائكة جاءت النصوص بذكر أسمائهم ، قال الله تعالى [وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ] ، وجاء في السنة [اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنا لما اخْتِلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم][(١)] .

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة – جبرائيل وميكائيل وإسرافيل – خُصُّوا بالذكر في النصوص ، وهناك اشتراك بين هؤلاء الأملاك الثلاثة في وظائفهم ، وهو أهم سبب في حياة المخلوقات :

١. فجبريل وظيفته إنزال الوحي ، وبه حياة الأرواح والقلوب والأجسام ، قال تعالى [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] وقال [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] وقال [قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ] وقال [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ] وقال [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] ؛ فهو حياة ، والحياة الحقيقة بالوحي الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وكُلِّف به جبريل .

٢. وميكائيل موكل بالقطر الذي هو المطر ، وهذا فيه حياة للأرض بعد موتها ، فإذا نزل المطر الذي به تحيا الأرض كان ذلك سبباً في حياة المخلوقات ، قال الله تعالى [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ] .

٣. وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وخروج الناس من قبورهم للبعث والنشور والثواب والعقاب وخلود في الجنة أو خلود الكفار والمشركين في النار نسأل الله السلامة والعافية[(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٢٨٩ ، "باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه" ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ((هؤلاء الثلاثة كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم عندما يستفتح صلاة الليل ، فيقول "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل" ، والحِكمة من هذا أن كل واحد منهم موكل بحياة ، فجبريل موكل بالوحي وهو حياة القلوب ، كما قال عز وجل [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا] ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات وهو حياة الأرض ، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وهو حياة الناس الحياة الأبدية .

والمناسبة ظاهرة ؛ لأنك إذا قمت من النوم فقد بُعثت من موت ، كما قال تعالى [وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ] ، فإذا كان القيام من الليل بعثاً ، وهؤلاء الملائكة الثلاثة الكرام كلهم موكلون بحياة ، صارت المناسبة واضحة)) انتهى بتصرف يسير . انظر "شرح الأربعين النووية للشيخ ابن عثيمين ، صفحة ٤١" .

.....

ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بأن الملائكة أكثر المخلوقات عدداً ، فهم أكثر من الجن والإنس والطير ، ولا يُحصي عددهم إلا الله عز وجل ؛ فالبيت المعمور يزوره كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يرجعون إليه ، والسماوات السبع ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راكع أو ساجد ، وجهنم يؤتى بها يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ! فهذه أعداد هائلة وعظيمة لا يحصيها إلا الله عز وجل .

ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بعظيم خلقتهم وهيأتهم التي خلقهم الله سبحانه وتعالى عليها ، فقد رأى رسولُ الله صلى الله عليه جبريلَ في صورته "له ست مئة جناح ، كل جناح منها قد سدَّ الأفق" ، وهذه خِلقة عظيمة .

* **الركن الثالث :** الإيمان بالكتب ؛ وهذا نقول فيه كما قلنا في الإيمان بالملائكة بأنه نوعان :

النوع الأول : إيمان إجمالي ؛ وهو الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله وأنبيائه ، سواء سُمِّيَت لنا أو لم تسمَّ ، والله جل وعلا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم [وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ][1] وقال تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ] ، فكل الكتب التي أنزلها الله تعالى من قبل تؤمن بها ، سواء علمتها أو لم تعلمها .

النوع الثاني : الإيمان التفصيلي ؛ وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام وفصَّل الله تعالى ذكرها وأسماءها ، فتؤمن بها تفصيلياً كما فُصِّلت ، وهذه الكتب هي صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، فكل هذه الكتب مفصلة تؤمن بها كما ورد ذكرها .

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن القرآن الكريم هو ناسخ لجميع الكتب المتقدمة ومهيمن عليها ، قال تعالى [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ] .

أما الكتب السابقة من التوراة والإنجيل فهي كتب قد وقع فيها تحريف من قِبل أصحابها ، فقد أوكل الله تعالى حفظها إلى أصحابها فحرفوها ، ولذا قال الله عز وجل [بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ] ، أما القرآن الكريم فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه فحفظه من التغيير والتبديل ، قال تعالى [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] .

---

(١) قال ابن كثير "أي صدَّقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء ، لا نفرق بين أحد منهم" .

.....

وهنا مسألة : ما مقدار ما حُرِّف من الكتب السابقة ، هل حرفت كلها ؟ أو حرف بعضها ؟ وهل التحريف الذي حصل تحريف لفظي أو تحريف معنوي ؟

والجواب : هناك اختلاف في مقدار ما حُرّف وما حصل من تحريف في الكتب السابقة ، وأهل العلم في هذه المسألة على أقوال :

القول الأول : أن الكتب السابقة كلها محرفة تحريفاً لفظياً ، فألفاظها محرفة ، وليس فيها شيء من كلام الله تعالى ، وهذا قول ذكر العلماء أنه مبالغ فيه .

القول الثاني : أن التحريف الذي فيها تحريف معنوي ، فهو تحريف لمعانيها فقط ، وأما ألفاظها فهي باقية من كلام الله سبحانه وتعالى ، وأيضاً هذا غير صحيح ، لأن هناك ألفاظاً فيها واضح أنها ليست من كلام الله تعالى .

القول الثالث : أن التحريف الذي وقع فيه على أقسام ؛ فبعضها حُرف لفظاً ومعنى ، وبعضها حُرف معنى لا لفظاً ، وبعضها باقٍ من كلام الله عز وجل كالبشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا هو القول المعتدل الوسط بين الأقوال .

ومن أراد أن يجد الجواب الشافي الكافي بالتفصيل فيما حرف من الكتب السابقة فليقرأ في هذه الكتب التالية :

أولاً : كتاب "الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح" ، لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

ثانياً : كتاب "هداية الحيارى" ، للإمام ابن القيم رحمه الله .

ثالثاً : كتاب "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" ، للإمام ابن القيم رحمه الله ، فقد تحدث فيه عن هذه المسألة .

رابعاً : كتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ، لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

ولكن على كل حال فبعد نزول القرآن فلا يُحكم بها ولا يُتَعَبَّدُ الله عز وجل بها ، بل الحكم بالقرآن الكريم ، ويتعبد لله تعالى بالقرآن الكريم الذي هو ناسخ لجميع الكتب السابقة ، فيُعمل بكتاب الله عز وجل وما لم يُنسخ من أخبار الكتب السابقة الذي هو شريعة أقرها النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل حد الرجم ، فإن الرجم ثبت في شريعتنا ، وهذا دليل على أنه لم يُنسخ ، فيحكم به وإن جاء في الكتب السابقة ، لأن شريعتنا أقرَّته ، فهو من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم .

.....

* **الركن الرابع :** الإيمان بالرسل ؛ وهو كذلك إيمان إجمالي وإيمان تفصيلي :

النوع الأول : إيمان إجمالي ؛ فتؤمن بكل الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى ، لأن الله عز وجل قال [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ] ، فالإيمان الإجمالي أن تؤمن بالجميع .

النوع الثاني : الإيمان التفصيلي ؛ بأن تؤمن بالرسل والأنبياء الذين ذكر الله تعالى أسماءهم وذكر قصصهم وذكر الكتب التي أُنزلت إليهم ، فكل ذلك تؤمن به على التفصيل الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

* والإيمان بالرسل يتضمن عدة أمور :

الأمر الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله سبحانه وتعالى ، وأنهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم ، قال تعالى [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى] ، فتؤمن بأن الله عز وجل اختارهم واصطفاهم وخصهم بالوحي .

الأمر الثاني : الإيمان بمن عَلِمْنا أسماءهم منهم ، وهناك رسلٌ نؤمن بهم إجمالاً ولا نعرف أسماءهم ، لأنه لم يُذكر من أسمائهم إلا القليل .

الأمر الثالث : التصديق بما صح عنهم من أخبارهم .

الأمر الرابع : العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .

* **الركن الخامس :** الإيمان باليوم الآخر ؛ وهو الإيمان بالبعث والنشور والحساب والجزاء ، ومشاهد القيامة من نصب الميزان ونصب الصراط والشفاعة ورؤية أهل الإيمان لربهم ودخول أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ ، وهذا كله مُفَصَّل في كتب الاعتقاد[1] .

---

(١) هناك شرح لشيخنا الشارح حفظه الله في دروس صوتية لشيخنا على متن "لمعة الاعتقاد" ، وفيه شيء من البسط لهذه المسائل من المعتقد ؛ وكذا هناك شرح لشيخنا الشارح حفظه الله على هذه المسائل من الإيمان باليوم الآخر في "مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" ، وقد قمتُ بجمعها وكتابتها ، نسأل الله سبحانه أن يستفيد منها قارئيها ؛ إنه جواد كريم .

.....

* **الركن السادس :** الإيمان بالقدر خيره وشره ؛ فيجب على المؤمن أن يؤمن بمراتب القدر الأربع[١] ؛ وهي كما يلي :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله سبحانه تعالى المحيط بكل شيء ، وأنه لا يقع في هذا الكون شيء إلا وقد عَلِمَه الله عز وجل ، قال تعالى [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] .

المرتبة الثانية : الإيمان بالكتابة ، وأن كل ما يقع في هذا الكون فهو مكتوب عند الله عز وجل ، قال تعالى [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا] .

المرتبة الثالثة : الإيمان بالمشيئة ؛ فنؤمن أن كل شيء في هذا الكون فهو واقعٌ بمشيئته سبحانه وتعالى ، ومشيئته وإرادته جل وعلا دائرة بين حكمته ورحمته ، فإذا هدى من شاء هداه برحمته وحكمته وتوفيقه ، وإذا كتب على عبده الضلال فذلك لحكمته سبحانه وتعالى .

المرتبة الرابعة : الإيمان بالخلق ، فكل المخلوقات في السماوات والأرض خلقها الله عز وجل ، قال تعالى [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] .

* أشهر الفرق الضالة التي خالفت الحقَّ في القضاء والقدر فرقتان :

الفرقة الأولى : القدرية النفاة ؛ وهؤلاء ضلالهم في النفي لتقدير الله عز وجل لأفعال العباد .

الفرقة الثانية : الجبرية الغلاة ؛ وهؤلاء غلوا في الإثبات حتى سلبوا العبد إرادته واختياره ، فقالوا لا إرادة له ولا مشيئة ، وأول من قال بمذهب الجبرية هو إبليس ، كما قال تعالى [قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي] فنَسَبَ الغواية إلى الله عز وجل وبرَّأ نفسه ، وهكذا مذهب الجبرية يبرئون أخطاءهم ومعاصيهم ومخالفاتهم بأنها أمور مقدرة عليهم ولا إرادة لهم ولا اختيار فيها ، ولذا يُطلَق على هذه الفرقة "الفرقة الإبليسية"[١] .

---

(١) فالنصوص قد دلت على أن الخير والشر مقدَّران من الله تعالى ، ودلت أيضاً على أن للعبد إرادة ومشيئة واختياراً للخير أو للشر ، لكن القدرية النفاة قالوا إن الله لم يقدِّر الشر على العباد وإنما العبد هو الذي يقدِّر فِعْلَ نفسه ، والجبرية الغلاة قالوا إن العبد مجبور على فعله وليس له إرادة واختيار للخير أو للشر ؛ فالقدرية أخذوا بالنصوص الدالة على فعل العبد واختياره وتركوا النصوص التي تثبت تقدير الله سبحانه لأفعال العباد ، والجبرية أخذوا بالنصوص الدالة على تقدير الله سبحانه لأفعال العباد وتركوا النصوص الدالة على إثبات اختيار العبد وفعله .

ووفَّق الله أهل السنة والجماعة للوسطية في هذا الباب كما في غيره من الأبواب ، فأخذوا بجميع النصوص في هذا ، فقالوا إن الله يقدِّر أفعال العباد ، وقد جعل الله للعبد إرادة ومشيئة واختياراً يميِّز فيها بن الخير والشر ، وهذه المشيئة التي جعلها الله للعبد هي تابعة لمشيئته سبحانه ، قال تعالى [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] .

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ] ، ودليل القدر قوله تعالى [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ][١] .

---

[١] قوله "والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ]" : هذه الآية اشتملت على خمسة أركان و لم تذكر الإيمان بالقدر ولذا قال الشيخ رحمه الله "ودليل القدر قوله تعالى [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]" ، والحقيقة أن الإيمان بالقدر داخل في قوله تعالى [وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ] ، لأن من الإيمان بالله الإيمان بأفعاله سبحانه ، والقدر من أفعاله وتقديره جل وعلا ، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة][١] .

وكذا في قوله تعالى [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] دليل على الإيمان بأركان الإيمان[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٧٩٧ ، "باب حجاج آدم وموسى" ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) قال شيخنا الشارح حفظه الله في شرحه على الرسالة التدمرية "فلم يُذكر في الآية الإيمان باليوم الآخر ولا الإيمان بالقدر ، فالإيمان بالقدر داخل في الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر داخل في الإيمان بالكتب ، لأنه ورد ذِكره في الكتب ، وهو من المُغيَّبات" .

المرتبة الثالثة : الإحسان ؛ ركن واحد[١] **، وهو "أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ، والدليل قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ]**[٢] .

---

[١] قوله "المرتبة الثالثة : الإحسان ؛ ركن واحد" : الإحسان نوعان :

النوع الأول : إحسان في عبادة الخالق عز وجل ؛ وهو المراد هنا في هذه المرتبة ، وهو تقوى الله تعالى فيها ، فإن الله عز وجل قال [إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] ، ومن أخلص لله تعالى في عبادته واتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيها فهو متقٍ لله تعالى في عبادته ، فهذا هو الذي يتقبل الله منه .

النوع الثاني : إحسان في حقوق الخلق ، وهو نوعان :

أولاً : إحسان واجب ؛ وهو أن تقوم بحقوقهم الواجبة على أكمل وجه ، كَبِرِّ الوالدين والإحسان إلى الأرحام والإنصاف في جميع المعاملات ، ويدخل في هذا الإحسان للبهائم والإحسان في القتل ، كما ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة](١) .

ثانياً : إحسان مستحب ؛ وهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني أو مالي أو علمي ، فيساعد الإنسان من احتاج إلى مساعدته ببدنه أو ماله أو بعلمه ، فهذا كله داخل في باب الإحسان ، وأجلُّ أنواع الإحسانِ الإحسانُ إلى من أساء إليك ، كما قال تعالى [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ] .

[٢] قوله "وهو "أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" ، والدليل قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ]" : في هذا مراقبة الله جل وعلا وخشيته سبحانه وتعالى ، وملخص هذا التعريف أن من أخلص لله تعالى في عبادته وراقب الله عز وجل فهو مُحْسِنٌ فيها ، وهذا النوع هو الذي يحبه الله عز وجل ، كما استدل بذلك الشيخ رحمه الله ، فقال "والدليل قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ]" .

وفي قوله تعالى [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] المعية هنا معية خاصة بالتأييد والنصر ، ومثله قوله تعالى [إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] ؛ والمعية العامة في مثل قوله تعالى [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] أي معكم بعلمه سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٦١٥ ، "باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة" ، عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه .

(٢) فمعية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين :

أولها : معية عامة ؛ وتكون للمؤمن والكافر ، وهي بمعنى العلم والإحاطة ، كما قال تعالى [مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا] وقال [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] .

ثانيها : معية خاصة ؛ وهي للمؤمن فقط ، وهي بمعنى التأييد والنصر ، كما قال تعالى [إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا] .

وقوله [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ][١] ، وقوله [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ][٢] .

---

[١] قوله "وقوله [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]" : فإن الله جل وعلا يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوكل على ربه في جميع أموره ، لأنه سبحانه وتعالى "عزيز" أي قوي لا يُغلب ، "رحيم" بالمؤمنين من عباده ، "الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين" أي تقوم إلى الصلاة وتصلي متهجداً في الليل ، فيراك ويرى تقلبك سبحانه وتعالى .

[٢] قوله "وقوله [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ]" : وهذا دليل على علم الله عز وجل المحيط بكل شيء .

والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه(١) قال [بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد[١] ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه[٢] ، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ قال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، فقال صدقت ، فعَجِبْنا له يسأله ويصدقه[٣] .

قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت .

قال فأخبرني عن الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل[٤] .

---

[١] قوله "إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد" : جاء جبريل عليه السلام في هذه الصورة الجميلة لِيُربِّي الصحابةَ رضي الله عنهم على التأهب لحضور مجالس العلم عند النبي صلى الله عليه وسلم .

[٢] قوله "حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه" : في جلوسه على هذه الصفة تعليمٌ للصحابة رضي الله عنهم في كيفية سؤال النبي صلى الله عليه وسلم .

[٣] قوله "فقال صدقت ، فعَجِبْنا له يسأله ويصدقه" : في هذا ذكاء الصحابة رضي الله عنهم ، وأنه لا يمرُّ عليهم شيء إلا ويعرفون ما المراد منه ، فعندما قال جبريل "صدقتَ" تعجَّبوا ، كيف يسأل ويصدِّق ؟! فهذا دليل على أنه عالِمٌ بما يسأل عنه .

وفي هذا أن لطالب العلم إذا كان يعلم مسألة من المسائل ويريد أن يعلِّمها غيره عن طريق سؤال العلماء فعليه أن يسأل العالم عن تلك المسائل وإن كان هو يعلمها ، وذلك كي يعلِّمها العالمُ للحاضرين الذين يجهلونها .

[٤] قوله "قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" : وهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من هو السائل .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٩ ، "باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان" ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وقد استدل به الشيخ رحمه الله على بيان مراتب الدين الثلاث للأصل الثاني من الأصول الثلاثة ، وهو معرفة العبد لدينه بالأدلة .

قال فأخبرني عن أماراتها[١] ؟ قال أن تلد الأمة ربَّتها[٢] ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان[٣] .

قال فمضى ، فلبثنا مَلِياً ، فقال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم[٤] ، قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينَكم][٥] .

---

[١] قوله "قال فأخبرني عن أماراتها" : يعني أخبرني عن علاماتها .

[٢] قوله "قال أن تلد الأمة ربَّتها" : يعني أن تلد الجارية سيدها .

[٣] قوله "وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" : قال العلماء "إذا ذكر النبيُّ صلى الله عليه وسلم شيئاً من علامات الساعة مجرد الذكر فهذا ليس دليلاً على تحريم ذلك الفعل، إلا إذا ورد نصٌّ آخر يدل على التحريم" ، فمجرد أن يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه علامة من علامات الساعة فهذا ليس دليلاً على أن هذا الفعل محرم ، فذِكْرُه "أن الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" لا يؤخذ منه دليل على تحريم البنيان ، بل هذا دليل على أنه علامة من علامات الساعة .

[٤] قوله "قلت الله ورسوله أعلم" : قال عمر رضي الله عنه "الله ورسوله أعلم" لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من هو ذاك السائل ، وليس في هذا دليل على أنك إذا سئلت عن شيء الآن تقول الله ورسوله أعلم ، إلا إذا سئلت عن شيء من مسائل الشرع التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم ، أما إذا سئلت مثلاً أين فلان ؟ فلا يجوز لك أن تقول الله ورسوله أعلم ، بل تقول الله أعلم .

[٥] قوله "قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينَكم" : فجعلَ النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك هو الدين .

* * *

وبهذا ننتهي من الأصل الثاني ؛ وهو معرفة دين
الإسلام بالأدلة ؛ وندخل في الأصل
الثالث ؛ وهو معرفة العبد نبيَّه
صلى الله عليه
وسلم
.

الأصل الثالث : معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلَّم .

وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[١] .

وله من العمر ثلاث وستون سنة ؛ منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً[٢] ، نُبِّئ باقرأ وأُرسل بالمدثر[٣] ، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة .

---

[١] قوله "وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام" : نَسَبُه صلى الله عليه وسلم نسبٌ شريف ، وهو من سلالة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقد اختاره الله جل وعلا من أشرف البطون ، فهو من أشرف بطون العرب نسباً(١) .

[٢] قوله "وله من العمر ثلاث وستون سنة(٢) ؛ منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً" : نبئ صلى الله عليه وسلم بعد الأربعين ، وذلك لَمَّا بلغ أشده واستوى ، كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

واستمر صلى الله عليه وسلم في النبوة بعد الأربعين ثلاثاً وعشرين سنة نبياً رسولاً ، وهكذا يبعث الله الأنبياء على رأس الأربعين(٣) ، لأن الإنسان في عمر الأربعين يبلغ أشده ، كما قال تعالى [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] .

ولذا فيُشرع للإنسان إذا بلغ الأربعين أن يدعو بهذا الدعاء "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" ، فهذا من الدعاء الذي علَّمنا الله إياه في القرآن الكريم ، وأشمل الأدعية وأنفعها هي ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

[٣] قوله "نُبِّئ باقرأ وأُرسل بالمدثر" : نبئ صلى الله عليه وسلم وأُرسل إلى الناس كافة .

---

(١) وقد أخرج مسلم في الصحيح برقم ٤٢٢١ ، "باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم" ، بسنده عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم] .

(٢) كما أخرج البخاري في الصحيح برقم ٣٦١٣ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال"بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه ، ثم أُمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين" .

(٣) لم أعثر على الحديث ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية "والأنبياء أعلم الخلق ، و لم يبعث الله نبياً إلا بعد الأربعين ، إلا عيسى صلى الله عليه وسلم" . انظر : المجلد السابع ، صفحة ٥٢٧ .

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ] ، ومعنى "قُمْ فَأَنْذِرْ" ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، "وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" عَظِّمه بالتوحيد ، "وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ" أي طهر أعمالك عن الشرك ، "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ" الرجز الأصنام ، وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها[١] .

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد[٢] ، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء[٣]

---

[١] كما تقدم معنا سابقاً أن هذه هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فقد بعث الله جميع الأنبياء والمرسلين بالتوحيد ، كما قال الله تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] وقال سبحانه وتعالى [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] ؛ وهذا أمر اتفق عليه جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل .

[٢] قوله "أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد" : عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل ، لأن التوحيد هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها جميع العبادات ، فلا تُقبل العبادات إلا بتوحيده سبحانه وتعالى ، ولذا قال الله عز وجل [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] يعني إذا وقع الشرك الأكبر من العبد أحبط الله تعالى جميع أعماله ، ولا يَقبل الله تعالى منها عملاً ، يقول الله تعالى عن الكفار [وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا] وقال تعالى [وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ] .

[٣] قوله "وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء" : كما قال تعالى [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ] ، وقد أُسري به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس بروحه وجسده يقظة .

وهناك من قال إن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط ، وهناك من قال إن الإسراء والمعراج كان رؤيا منامية ، وكل هذا غير صحيح ؛ بل أسري به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس بروحه وجسده يقظة لا مناماً ، وعُرج به صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماوات يقظة لا مناماً، بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ، وعاد صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل صلاة الفجر من تلك الليلة ؛ وهذا هو ظاهر قوله تعالى [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] ، فإن قوله "بِعَبْدِهِ" يتناول الروح والجسد معاً .

وفُرِضَتْ عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة[١].

---

[١] قوله "وفُرِضَتْ عليه الصلوات الخمس ، وصلى في مكة ثلاث سنين ، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة" : يعني فُرضت عليه الصلوات ليلة الإسراء والمعراج ، وفَرْضُ الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في السماوات العُلَى من باب التعظيم لها ، فقد فرضها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان ، وأول ما فُرضت خمسين صلاة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه التخفيف بمشورة من موسى عليه السلام ، فخُفِّفَت إلى خمس ، وهي بأجر خمسين صلاة[١] .

---

(١) ولمزيد بسطٍ حول مسائل مبحث الإسراء والمعراج والرد على المخالفين فيه يُنظر شرح شيخنا الشارح على شرح العقيدة الطحاوية "مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" ، وقد قُمتُ بكتابته والحمد لله .

والهجرة "الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام" ، والهجرة فريضة علي هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة[١] .

---

[١] قوله "والهجرة "الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام" ، والهجرة فريضة علي هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة" : بلد الشرك هو البلد الذي لا تُعلن فيه شعائر الإسلام ، ومن أعظمها التوحيد والصلاة ، فالبلد الذي تُعلن فيه شعائر الإسلام – فيعلن فيه توحيد الله تعالى ، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، ويُرفَع فيه الأذان وتقام فيه الصلاة – فهو بلد إسلام ، والبلد الذي لا يعلن فيه بالتوحيد ولا تقام فيه الشعائر ومن أعظمها الصلاة فلا يؤذَّن لها ولا يُصلى في مساجد ذلك البلد فهذا لا يعتبر بلد إسلام ، وهو البلد الذي يُهاجَر منه إلى بلد الإسلام الذي تعلن فيه شعائر الإسلام ، ومن أعظمها التوحيد والصلاة .

وقوله "وهي باقية إلى أن تقوم الساعة" : أي أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة ، فإذا احتاج المسلم إليها وجبت عليه ؛ فإذا كان في بلد لا يستطيع أن يقيم فيه شعائر الدين – فلا يستطيع أن يعلن التوحيد ولا أن يجهر فيه بالشعائر ومن أعظمها الصلاة – فيجب عليه أن يهاجر إلى بلد الإسلام الذي تقام فيه وتُظهر فيه شعائر الدين .

ولا تعارض بين هذا وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث [لا هجرة بعد الفتح](١) ؛ فإن المقصود به "لا هجرة من مكة بعد فتحها ، لأنها صارت دار إسلام" ، وكل بلد يُفتح ويكون دار إسلام فإن الهجرة لا تجب منه .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٥٧٥ ، "باب فضل الجهاد والسير" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٤٦٨ ، "باب المبايعة على الإسلام بعد فتح مكة" ؛ كلاهما عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا] ؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري "المعنى أن وجوب الهجرة من مكة انقطع بفتحها ، إذ صارت دار إسلام ، ولكن بقي وجوب الجهاد على حاله عند الاحتياج إليه" ، وقال النووي رحمه الله في شرحه على مسلم "أي لا هجرة من مكة لأنها صارت دار الإسلام ، أو لا هجرة فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح" .

والدليل قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا] ، وقوله تعالى [يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ] قال البغوي رحمه الله تعالى "سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ، ناداهم الله باسم الإيمان"[١] .

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم [لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها](١)[٢] .

---

[١] هذه الآيات فيها أصناف الناس الذين تجب عليهم الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، والذين تسقط عنهم الهجرة ؛ فالناس في هذا ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : صنف تجب عليه الهجرة ؛ وهو الذي يعيش في بلد الشرك ولديه قدرة على الهجرة ، فهو يعيش في بلد لا يستطيع أن يُظهر دينه فيه ، وهو قادر على الهجرة إلى بلد يظهر فيه دينه ، فهذا يجب عليه أن يهاجر ، وإذا ترك الهجرة فهو آثم ، لأن الله عز وجل قال [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا] .

الصنف الثاني : من لا هجرة عليه لعجزه عن الهجرة ؛ إما لأنه مريض أو مُكْرَهٌ على الإقامة في ذلك البلد ولا يستطيع الخروج منه ، فهذا تسقط عنه الهجرة ، لقوله عز وجل [إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا] .

الصنف الثالث : من تُستحب له الهجرة ولا تجب عليه كما تجب على الصنف الأول ؛ وهذا في حق من يستطيع الهجرة لكنه متمكن من إظهار دينه ، فهذا تستحب له الهجرة لأجل أن يتمكن من إظهار بقية شعائر الدين، ويتمكن من إظهار عقيدة الولاء والبراء، فهو في بلد يُظهر فيه شعائر الدين ، ولكن هناك شعائر أخرى لا يستطيع إظهارها ، فهو يُظْهِرُ التوحيد ويظهر الصلاة وهناك بلد آخر يستطيع فيه أكثر مما يظهر، فهذا يستحب له الهجرة إلى البلد الذي يستطيع أن يظهر فيه دينه بأكمله.

[٢] قوله "والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم [لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها]" : هذا دليل على استمرار الهجرة.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن برقم ٢١٢٠ ، عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وصححه الألباني .

فلما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام[١] .

أخذ على هذا عشر سنين ، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ؛ ودينه باقٍ ، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذَّرها منه ؛ والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه[٢] .

بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس ، والدليل قوله تعالى [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا][٣] .

وأكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالى [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] .

---

[١] قوله "فلما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام" : هذه الشرائع فُرضت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته ، وهي من شعائر الدين الظاهرة ، وأما الذي فرض عليه في مكة عليه الصلاة والسلام فهو التوحيد والصلاة .

[٢] قوله "أخذ على هذا عشر سنين ، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه ؛ ودينه باقٍ ، وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذَّرها منه ؛ والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه" : مُجْمَلُ هذا الكلام أن الله عز وجل قبض نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن أتم الدين ، كما قال عز وجل [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] .

[٣] قوله "بعثه الله إلى الناس كافة ، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس ، والدليل قوله تعالى [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا]" : ويدل لهذا قوله تعالى [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] وقال تعالى [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا] ، وقال صلى الله عليه وسلم [وكان كل رسول يُبْعَثُ إلى قومه خاصة ، وبُعثتُ إلى الناس عامة][(١)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٣٢٣ ، "باب قول الله تعالى [فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٨١٠ ؛ كلاهما عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما .

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ][١] .

والناس إذا ماتوا يُبْعَثُون ، والدليل قوله تعالى [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] وقوله تعالى [وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] ، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى][٢] .

ومن كذَّب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ][٣] .

---

[١] قوله "والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى [إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ]" : وكما قال تعالى [وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ] .

[٢] قوله "والناس إذا ماتوا يُبْعَثُون ، والدليل قوله تعالى [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] وقوله تعالى [وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا] ، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى]" : وهذا عام في حق الناس جميعاً .

[٣] قوله "ومن كذَّب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ]" : من كفر بالبعث والنشور فقد كفر بركن من أركان الإيمان ، وهو الإيمان باليوم الآخر ، ومن كفر بركن واحد من أركان الإيمان فهو كمن كفر بجميعها .

وأرسل الله جميع الرسل مبشِّرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ][١] .

---

[١] قوله "وأرسل الله جميع الرسل مبشِّرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى [رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]" : فبيّن الله جل وعلا الحكمة من إرسال الرسل ، قال تعالى [لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام حجة الله على العالمين ، قال تعالى [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا] .

* والرسل أرسلهم الله تعالى حجة على الناس يذكِّرونهم بأمرين :

أولاً : يذكرونهم بالفطرة التي فطر الله العباد عليها ، قال تعالى [فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا] وهي الإسلام والتوحيد .

ثانياً : يذكرونهم بالعهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على العباد وهم في صلب أبيهم آدم ، بأنْ يعبدوا الله وأن يوحِّدوه ، قال تعالى [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] .

فإذا احتجوا بنسيان ذلك العهد والميثاق فحجةُ الله عليهم الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إليهم ، قال الله سبحانه وتعالى [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] .

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ][١] .

وكل أمة بَعَثَ الله إليها رسولاً – من نوح إلى محمد – يأمرهم بعبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] ، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى "الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع"[٢].

---

[١] قوله "وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ]" : هنا مسألة ؛ وهي أن آدم عليه الصلاة والسلام نبيٌّ ، فلماذا لم نقل إن أولهم آدم عليه الصلاة والسلام ؟

والجواب : أن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل إلى الناس بعد الاختلاف الذي وقع في الأرض ، الذي هو الشرك ، يقول الله عز وجل في سورة البقرة [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً] يعني على التوحيد [فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ] يعني بعد أن وقع فيهم الشرك واختلفوا إلى فريقين – أهل إسلام وأهل شرك – بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .

[٢] قوله "قال ابن القيم رحمه الله تعالى "الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع" : هذا تعريف الطاغوت .

وقوله "من معبود" : يعني عُبد من دون الله .

وقوله "أو متبوع أو مطاع" : يعني قائد ورأس يأمر بالشرك فيطاع ويتبعه الناس في ذلك ، فهذا من الطواغيت .

---

(١) في حديث الشفاعة "أن الناس يأتون نوحاً ، فيقولون يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض" ، فأورد شيخنا الشارح حفظه الله إشكالاً من كون آدم قبل نوح عليهما السلام ، حيث قال شيخنا الشارح حفظه الله ((فهل نوح عليه السلام هو أول الرسل ؟ فإن قبله آدم ، وآدم نبي مرسل ، كما ورد في صحيح ابن حبان عن أبي أمامة رضي الله عنه [أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أنبيٌّ كان آدم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ، قال له الرجل كم كان بينه وبين نوح ؟ فقال عشر سنين] ؛ فكيف نجمع بينهما ؟

أولاً : قال بعض أهل العلم آدم عليه السلام هو نبي مرسل لأن الله أوحى إليه بشريعة تُبيِّن لذريته ولأبنائه الذين كانوا معه كيف يعبدون الله وما أحل الله لهم وما حرم عليهم ؛ ولكن قول الناس هنا لنوح "أنت أول الرسل" هذا باعتبار أن نوحاً هو أول الرسل بعد وقوع الاختلاف والافتراق ، وهو الشرك الذي قال الله فيه [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ] .

ثانياً : قال بعض أهل العلم هو نبي مرسل إلى الذرية الذي كانوا في زمنه فقط ، وليس هناك استمرار لشريعته ، وفارقه نوح بأنه رسول إلى أهل الأرض كلهم ، ولذا قالوا لنوح "أنت أول الرسل إلى أهل الأرض")) انتهى . انظر "مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" ، لفضيلة شيخنا الشارح حفظه الله تعالى .

والطواغيت كثيرون ؛ ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عُبد وهو راضٍ ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله[١] .

---

[١] قوله "والطواغيت كثيرة ؛ ورؤوسهم خمسة : إبليس لعنه الله ، ومن عُبد وهو راضٍ ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله" : هذه رؤوس الطواغيت(١) :

الرأس الأول : إبليس ؛ وهو رأس كل شر وفتنة وبلاء ، قال تعالى [أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ] .

الرأس الثاني : من عُبد من دون الله وهو راضٍ ؛ أُتِيَ بهذا التقييد وهو الرضا لأن هناك من عُبد من دون الله وهو غير راضٍ ، فلا يكون طاغوتاً ، ولذا قال الله عز وجل [إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ] فالذين سبقت لهم الحسنى يدخل فيهم من عُبد من دون الله وهو غير راضٍ ، فالملائكة عُبدوا من دون الله وهم لا يرضون ، وبعض الأنبياء عُبدَ من دون الله وهو غير راضٍ ، وبعض الصالحين عُبد من دون الله وهو غير راضٍ ، فلا إثم عليه ، وإنما الإثم على من عَبَدَه فقط .

الرأس الثالث : من دعا الناس إلى عبادة نفسه ؛ بأن نصَّب نفسه إلهاً من دون الله ودعا الناس إلى ذلك ، ويدخل في هذا من نصَّب نفسه للناس مشرِّعاً من دون الله ، بأن يشرع للناس شرعاً يتقربون به بزعمه إلى الله ، أو سنَّ لهم تشريعاً غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذا قال الله عز وجل [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] .

الرأس الرابع : من ادعى شيئاً من علم الغيب ؛ ويدخل فيه السحرة والمشعوذون والكهنة ، قال الله تعالى [قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] وقال تعالى [إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] .

---

(١) يعني أنه يتبيَّن أن الطواغيت باعتبار التعريف الذي ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله كثيرة ، لأن كل من عُبد أو اتُّبِع أو أُطيع فيصدُق عليه أنه طاغوت ، وهؤلاء كثيرون ، ولكن رؤوسهم بالتتبع والاستقراء خمسة ، وما عدا هذه الخمسة فهو متفرِّعٌ عنها .

.....

الرأس الخامس : مَن حكم بغير ما أنزل الله ؛ فمن حكم بغير ما أنزل الله فقد وصفَه الله تعالى بثلاثة أوصاف ، قال تعالى [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] وقال [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] وقال [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] ؛ وهذا الكفر والظلم والفسق ينقسم إلى قسمين :

أولاً : كفر أكبر وظلم أكبر وفسق أكبر ؛ وهذا مخرجٌ صاحبه من الملة .

ثانياً : كفر أصغر وظلم أصغر وفسق أصغر ؛ وهذا لا يخرج صاحبه من الملة .

فإن قال قائل : متى يكون الحاكم بغير ما أنزل الله كفره وظلمه وفسقه أكبراً ؟ ومتى يكون أصغراً ؟

فالجواب : الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر وظلماً أكبر وفسقاً أكبر في أحوال :

أولاً : إذا اعتقد استحلال الحكم بغير ما أنزل الله ، فقال إن الحكم بالقوانين أو بأعراف القبائل وسلوكها مكان الشريعة حلال ، فاعتقد حِلَّه .

ثانياً : إذا اعتقد المساواة بين حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وبين حكم غيره ، فيقول سواء حكمتُ بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم أو حكمتُ بالقوانين أو بالأعراف والسلوك فالأمر سواء ، فاعتقد واستحل المساواة .

ثالثاً : إذا اعتقد أن حكم الله سبحانه وتعالى لا يصلح للزمن الذي هو فيه ، أو لا يصلح للمكان الذي هو فيه ، فقال لا يصلح في هذا الزمن أن تحكم بالكتاب والسنة ، أو في المكان الفلاني لا يصلح أن تحكم بالكتاب والسنة .

فإذا حكم بغير ما أنزل بهذه الاعتقادات فكفره وظلمه وفسقه أكبر مخرج من ملة الإسلام .

القسم الثاني : يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أصغر وظلماً أصغر وفسقاً أصغر فيما إذا حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد حرمة ذلك وأنه مخطئ ، ويعتقد أن حكم الله أعظم وأجلُّ ويجب أن يُحكم به ، ويعتقد أن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه صالح لكل زمان ومكان ، فهنا اعتقاده سليم ، لكنه حكم بغير ما أنزل الله لشهوة مال ، من رشوة مثلاً ، أو لأي غرض من أغراض الدنيا ؛ فهذا الكفر والظلم والفسق في حقه أصغر لا يخرجه من ملة الإسلام ، لسلامة معتقده .

.....

* وهنا ننبه إلى مسألة ؛ وهي أن هناك فرقاً بين الحكم على العموم والحكم على التعيين ، ففي مسألة التكفير حين نقول "من فعل كذا كفر" ، أو نقول "من اعتقد كذا كفر" ، فهذا حكم على العموم ، لكن عندما نأتي إلى الفاعل نفسه الذي فعل هذا الأمر فهذا حكم على التعيين ، ففي الحكم بالتعيين فلابد أن يُنظر في حاله :

أولاً : هل هو جاهل ؛ فلابد من رفع الجهل قبل الحكم عليه .

ثانياً : هل لديه شُبهة في هذا الأمر الذي فعله ؛ فلابد من رفع الشبهة عنه .

ثالثاً : هل لديه تأويل في الأمر الذي فعله ؛ فلابد من تجلية الأمر له .

رابعاً : هل هو مكره ؛ لأن الله عز وجل قال [إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ] .

فلابد أن ننظر إلى هذه الأمور قبل الحكم عليه ، فالحكم على الأشخاص وعلى المعينين لابد أن يُنتبه له ، ولا ينبغي لكل أحد أن يَلِجَ فيه ، بل المرجع فيه إلى أهل العلم الراسخين الذين يستطيعون على تجلية الأمور ، فيستطيعون إذا كان هذا الفاعل جاهلاً أن يرفعوا الجهل عنه بتعليمه وإقامة الحجة عليه ورفع الشبهة عنه إن كان لديه شبهة ، وإن كان عنده تأويل فيبينون له ، ومعرفة حال الفاعل من حيث الإكراه وعدمه ، فلابد من الانتباه لهذه الأشياء ، فمن حكم بغير ما أنزل الله لم يَجُزْ له ذلك الفعل ، لكن في الحكم عليه بالكفر لابد من التأني والنظر في حاله[1] .

---

(١) فكما قرر شيخنا الشارح حفظه الله أن باب التكفير لا ينبغي الولوج فيه لكل أحد ، فهناك ضوابط وشروط للتكفير لابد من توافرها ، وهناك موانع لابد من انتفائها ، ولشيخنا الشارح بسطٌ على مبحث التكفير ومسائله بما يزيد على ٣٠ صفحة في شرحه على شرح العقيدة الطحاوية "مباحث عقدية من شرح العقيدة الطحاوية" ؛ فليُراجع .

والدليل قوله تعالى [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى][١] ، وهذا معنى لا إله إلا الله[٢] .

وفي الحديث [رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذِروة سنامه الجهاد في سبيل الله](١) .

---

[١] قوله "والدليل قوله تعالى [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى]" : ساق المصنف رحمه الله تعالى الدليل على أن الله تعالى افترض على العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، وقد مرَّ معنا معنى الطاغوت(٢) .

وقوله "[لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]" : أي لظهور أدلة الدين وبراهينه ، فلا يُكره إنسان على أن يعتنق الإسلام ، وإنما يعتنقه الإنسان بإرادته واختياره ، ولا منافاة بين هذه الآية والآيات الدالة على وجوب القتال والجهاد ، لأن هذه الآية مرادٌ بها إزالة العوائق في وجه الإسلام ، فإذا وقف أُناسٌ في وجه الإسلام أو قوة وقفت في وجه الإسلام فإنه يُشرع القتال ، ويجب في هذه الحال ، لإزالة هذه العوائق، لكن لا يُلزم الإنسان بأن يعتنق الإسلام .

وهذه الآية فيها خلاف بين المفسرين ؛ "فمنهم من ذهب إلى أنها منسوخة بآيات القتال" ، وضعَّف هذا المحققون كابن جرير وابن العربي والشوكاني وغيرهم ، ومنهم من قال "إن هذه الآية مُحْكَمة ، وأنها خاصة باليهود والنصارى والمجوس ، أما الوثنيون فإنهم يُكرهون على الإسلام ويُلزمون بالدخول فيه" ، وهو اختيار ابن جرير وجمعٌ من المحققين .

وعلى أي حال فالإنسان يعتنق الإسلام بإرادته واختياره وظهور تعاليمه وأدلته وبراهينه ، وأما ما جاء في آيات القتال والجهاد فهذا لا ينافي الآية ، بل كل من وقف في وجه الإسلام من شخص أو من قوة فإنه يُقاتَل ، أما أنه يُلزَم ويُكرَه على اعتناق الإسلام فقد يعتنقه في الظاهر ولا يعتنقه في الباطن فيكون منافقاً(٣) .

وقوله "[قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ]" : أي تبيَّن الإسلام من الكفر ، وهذا بعد ظهور أدلة الدين وبراهينه .

[٢] قوله "وهذا معنى لا إله إلا الله" : وقد مرَّ معنا في سابقاً معنى كلمة التوحيد ؛ فمعنى "لا إله إلا الله" إفرادُ الله بالعبادة والبراءة من الشرك وأهله .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن بطوله برقم ٢٥٤١ ، وقال "هذا حديث حسن صحيح" ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) كما في قول ابن القيم رحمه الله تعالى "الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاعٍ" .

(٣) انظر "حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، صفحة ٢٠٤ – ٢٠٥ ، للشيخ عبدالله بن صالح الفوزان" .

والله أعلم ؛ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد ، وبهذا ننتهي من كتاب الأصول الثلاثة ،

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا وإياكم بما قلنا وبما سمعنا ، كما نسأله

تعالى أن يرزقنا وإياكم الهدى والتقى والعفاف والغنى ،

وصلى الله وبارك وسلم على نبينا

محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين

.

آخر ما تيسر لي جمعه ؛ والحمد لله رب العالمين

سعود عبده رديش دغريري

عفا الله عنه وعن والديه وعن أهله وذريته

وعن مشايخه وعن جميع المسلمين

٩ – ٣ – ١٤٣٥هـ